٨

اعلام من رجال التصوف الاندلسي في دولة غرناطة حتى سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م

Famous persons from the men of Andalusian mysticism In the state of Granada until the year 776AH / 1374 AD

م.د. محمد خليل ابراهيم عباس القيسي

Dr. Muhammad Khalil Ibrahim Abbas Al-Qaisi

وزارة التربية/ المديرية العامة لإعداد المعلمين

Ministry of Education /
Directorate General of Teacher Training

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي-الجامعة العراقية
كلية التربية للبنات

ملخص البحث

للحركة الصوفية في بلاد الاندلس ابعاد كثيرة، انها كانت حركة مُحاربة ومُحارب من يؤمن بها، ثم ظهر رجال التصوف في نهاية ق ٥هـ/ ١١م أثرو في الفكر الاسلامي، وكان ظهورهم في مناطق غرب الاندلس، ومن هنا نمت وتطورت وانتشرت الحركة الصوفية، واتخذ التصوف الطابع الجهادي مع العبادة والزهد، وتداخل الافكار الصوفية مع بعض الافكار الفلسفية واقوال المتكلمين، فلما انحسر الاندلس في دولة غرناطة، نجد الكثير من رجال التصوف قد يرزوا على الساحة الاندلسية، في البحث تناولنا الآتي:

المبحث الاول: -تعريف التصوف وحدوده مع البحث في بدايات التصوف الاندلسي.

وفي المبحث الثاني: التصوف في دولة غرناطة، وأبرز رجالات التصوف فيها حتى سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م.

الهدف من الدراسة توضيح تطور التصوف في بلاد الاندلس، وظهوره كحركة جهادية في دولة غرناطة، التي أثر رجالها السعي لبناء واتخاذ ربط للجهاد والعبادة ازاء اراضي الاعداء، كل ذلك بحثناه بأسلوب علمي وفق المنهج (الوصفي التحليلي) مع عرض وتحليل للمادة والاحداث وربطها بأسلوب علمي واستنتاجات في نهايتها.

الكلمات المفتاحية: (أعلام، رجال، تصوف، أندلس، دولة، غرناطة)

Abstract

The Sufi movement in the country of Andalusia has many dimensions, it was a fighting movement and the warrior who believes in it, then the men of Sufism AD, they enriched Islamic thought, and AH / 11 appeared at the end of the 5 their appearance was in the regions of western Andalusia, and from here it grew, developed and spread, and Sufism took on the character Jihadi with worship and asceticism, and the overlap of Sufi ideas with some philosophical ideas and the .sayings of the theologians

The first topic:- Defining Sufism and its limits with research on the beginnings .of Andalusian Sufism

In the second topic: Sufism in the state of Granada, and the most prominent .AH / 1374 AD men of Sufism in it until the year 776

The aim of the study is to clarify the development of Sufism in the land of Andalusia, and its emergence as a jihadist movement in the state of Granada, whose men sought to build and take a link to jihad and worship towards the lands of the .enemies. at its end

المقدمة

تعد الحركة الصوفية، حركة شرقية انساحت باتجاه الغرب الاسلامي ودخلت الى بلاد الاندلس، عن طريق الرحلات العلمية ورحلات الحج التي كان يقوم بها المغاربة والاندلسين الى بلاد المشرق، الديار المقدسة وبغداد وباقي الحواضر الاسلامية، او رحلة رجال المشرق مدن المشرق الاسلامي باتجاه الغرب الاسلامي.

هناك ملاحظين مهمتين لا بد من ذكرهما: ان كبار رجال التصوف كانوا علماء الشريعة الاسلامية أكثر منه في علم التصوف، ومن الاندلس عبروا نحو المغرب فكانت لهم مدارس واتباع وطريقة تصوف خاصة انتشرت في تلك الديار ومناطق المشرق الاسلامي.

الملاحظة الاخرى تخص المدة الزمنية التي درسناها ان رجال التصوف بدأت تخالطهم نزعة الجهاد ضد العدو مع الحرص على الافكار الصوفية والكتابة في ما يتعلق بالحركة الصوفية واتخاذها كمنهاج يسير عليه لاتباع والمريدين، كان نهاية ق ٥هـ/ ١١م بداية ازدهار التصوف فظهر في بلاد الاندلس شيوخ استطاعوا نشر التصوف في غرب الاندلس، ثم بعدها يصبح كبار وزعماء التصوف الاندلسيين، ابرز مشايخ التصوف في البلاد الاسلامية، مما يدلل على ان التصوف وصل مرحلة النضوج، ففي القرن ٦هـ/ ١٢م اوج ما وصل له التصوف ببلاد الاندلس ويعد العصر الذهبي للصوفية فيكمل التصوف سيرته ويترقى في مدارج الحياة فيصبح له لانصار الكثيرين.

أصبح للتصوف في بلاد الاندلس منشأت، فالرباط او الاربطة كان لها دورها مما يدلل على اتساع دائرة الفكر الصوفي بمرور الزمن، ويأتي عصر دولة غرناطة فنجد من النادر ذكر عالم من علمائها غير منتهج نهج التصوف، اذن انتشر التصوف بعد ان كان فكر محارب وأضحى من الحركات التي لها اتباع في القرنيين (٧-٨هـ/ ١٣-١٤م).

ان تطور هذه الحركة وشيوع فكرها، والتفاخر به ودراسته لتسترجع الامة ابداعها الفكري بتجاربها وقيمها ورقيها وتقدمها، ليكون دافعاً نحو التعكير والرقي وعدم الجمود، وذلك لتجديد نهضة الامة الفكري.

بهذا الدافع تم اختيار موضوع: (اعلام من رجال التصوف الاندلسي في دولة غرناطة حتى سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م. ومن الاسباب الاخرى الرغبة الشديدة في التعرف والاطلاع على ازدهار حركة التصوف في بلاد الاندلس، وكيف قام رجال التصوف بمحاربة الاعداء واتخاذ الزهد الصوفي كمنهاج لكسب الناس ورص صفوفهم في الرباطات لمجاهدة الاعداء مع العباد والذكر.

وهذا البحث يتضمن امور كثيرة تناولت التصوف واهتمام اهل البلاد بالأفكار الصوفية، مع الحرص على ابراز الجوانب التي فيها الجدة والاصالة بعيداً عن التقليد، وقد تناولت في البحث ما يأتي:

المبحث الاول: تعريف التصوف، ومعرفة

حدوده، وذكر بدايات التصوف في بلاد الاندلس/ وفي المبحث الثاني: التصوف في دولة غرناطة وأبرز رجالات التصوف حتى سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٥م، ثم خاتمة للبحث تناولت فيها اهم ما توصلنا له من حقائق ونتائج.

والمنهاج المتبع في الدراسة كان المنهج التاريخي في وصف الاحداث وتحليلها بحسب فقرات ومواضيع الدراسة وتوافر المادة العلمية، بأسلوب علمي تحليل وربط المعلومات والاحداث ثم الاستنتاج ان تطلب ذلك، وهناك صعوبات في ترجمة رجال واعلام الدراسة منها قلة المصادر لترجمة شيوخ التصوف، وكان الاعتماد الاكثر على كتاب الاحاطة في اخبار غرناطة للمؤرخ الرائع والكبير لسان الدين ابن الخطيب (ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) (رحمه الله). استخدمنا في الدراسة طائفة من المصادر والمراجع والبحوث التاريخية، والتي لا غنى لنا عنها في ترجمة وتسلسل الاحداث، التي اعتمدها البحث، ومعرفة رجال التصوف في بلاد الاندلس في مدة الدراسة.

وفي الختام نطمح ان يكون البحث او هذه الدراسة حلقة من حلقات احياء الفكر الاسلامي واحياء ذكر رجالاته، والتي مقصدنا منها احياء التراث العربي الاسلامي في هذه المدة الزمنية والجوانب الخفية منها لسد جانب مهم من جوانب الدراسات الاسلامية، نسأل الله ان نكون قد وفقا في طرح ما خططنا له انه ولي ذلك ومولاه.

المبحث الاول
التصوف احواله وادراكاته، بداياته في بلاد الاندلس وفيه مطلبان

المطلب الاول: التصوف احواله وادراكاته:

ان اهم الافكار التي طرأت على الدين الاسلامي، التصوف والتي كانت بداياتها الاولى قد اتخذ كمظهر الزهد والانقطاع للعبادة، والابتعاد عن ملاذ الدنيا والترف، وربما ان الزهد ظهر في عهد مبكر جداً من عهود الاسلام، فالزاهد يرى فيه المعنى الخفي والكامن في جوهر الدين، لكن الزهاد لم ينقطعوا عن الناس ومخالطتهم، وهذا الموضوع مع توسع الدولة العربية الاسلامية اخذ بالتطور مع تطور الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ظهر شيوخ في زمن ليس ببعيد عن زمن التابعين، عرفوا بالصوفية، كانوا يحاولون ان يبلغوا من درجات الفهم أعمقها كي يفسروا الكلمة الالهية، بحسب اعتقادهم تفسيراً صحيحاً، ومع مرور الايام لم يقفوا عند هذا الحد، بل غلب عليهم الاسترسال في التأملات السرية، تلك النزعات جلية منذ القرن الثالث الهجري/ العاشر الميلادي[1].

فالتصوف: علم من العلوم الشرعية الحادثة في الدين الاسلامي، وطريقة القوم، كان عليها سلف الامة وكبارها من الصحابة والتابعين، طريقة

(١) آنا ماري شيمل: رمزية الحروف في المصادر الاسلامية، www.pdf factory.com ص٢.

الحق والهداية واصلها الزهد والعكوف والانقطاع للعبادة والابتعاد عن الدنيا وزخرفها وترفها، اي انهم اثروا الزهد والانقطاع عن الخلق والاقبال على العبادة بالإدراك للعلوم والمعارف من اليقين والظن والشك[١].

وقيل عن التصوف: ((هو العلم بالأصول الموروثة من تصحيح الاعمال ظاهراً وباطناً))[٢]، بمعنى آخر: ((تجريد القلب لله تعالى واحتقار ما سوى الله تعالى))[٣]، وفي تعريف آخر: ان علم التصوف هو علم السلوك وهو معرفة النفس ما لها وما عليها من الوجدانيات والسلوك هو علم الاخلاق كما هو علم التصوف والذي هو اشرف العلوم لعلمه بالحقائق والمنازل والاحوال وعلم المعاملة والاخلاص في الطاعات والتوجه الى الله تعالى من جميع الجهات[٤]،

(١) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر، تحقيق: خليل شحاذة، دار الفكر، ط٢، (بيروت-١٩٨٨م)، ١/ ٦١١.

(٢) السيوطي: عبد الرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: محمد ابراهيم عبادة، مكتبة الآداب (القاهرة-٢٠٠٤م)، ص٢١٠.

(٣) الاحمد نكري: عبد النبي بن عبد الرسول (ت ق ١٢هـ/ ١٧م)، دستور العلماء، تعريب» حسن هادي فحص، دار الكتب العلمية (بيروت-٢٠٠٠م)، ١/ ٢٠٣.

(٤) التهانوي: محمد بن علي بن حامد (ت ب عد١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان (بيروت-١٩٩٦م)، ١/ ٤٢.

ويرى احد المستشرقين ان التصوف ادراك الحقيقة المطلقة، سواء عرفت تلك الحقيقة بالحكمة او النور او العشق او عدم، فالتصوف اكبر تيار روحي يسري في الاديان جميعها، وهو حب مطلق وبه يتميز المتصوف الحقيقي عن طقوس الزهد الاخرى.[٥]

احوال التصوف:

بعد ان فشا الاقبال على الدنيا في القرن ٢هـ/ ٨م، ومال الناس الى الترف إثر الزهاد والاقبال على العبادة وعرفوا بالصوفية والمتصوفة، فاختصوا بمآخذ مدركه، والادراك نوعان: إدراك للعلوم كاليقين والظن والشك والشكر وهذه كلها معارف لديهم[٦].

فالتوبة عند المتصوفة المقام الاول على الطريق الصحيح ان لم يكن بداية الطريق، ولا بد للصوفي من الاقلاع عن الذنب وعن كل ما يتعلق بالدنيا، ويمكن ان تنشأ التوبة في النفس بسبب حدث ظاهري يغير تلك النفس من حال الى آخر،[٧] وفيما يلي بعض المفاهيم الصوفية التي تشرح احوالهم وادراكاتهم: -

١- الوقت: حادث متوهم علق حصوله على حادث متحقق.

٢- المقام: ما يتحقق للعبد ومنزلته من الادب، ويتوصل له بنوع تصرف.

(٥) آنا ماري شيمل: الابعاد الصوفية في الاسلام وتاريخ التصوف، ترجمة: محمد اسماعيل السيد ورضا حامد قطب، منشورات الجمل (المانيا-بغداد-٢٠٠م)، ص٧-٨.

(٦) ابن خلدون: التاريخ، ١/ ٦١١.

(٧) انا ماري شيمل: الابعاد الصوفية، ص١٢٥-١٢٦.

٣- الحال: يعني شيء على القلب من غير تعمل واكتساب.

٤- القبض: استشعار مكروه حاصل في الوقت.

٥- البسط: استشعار محبوب يحصل للعبد في الوقت.

٦- الهيبة: استشعار عظمة المشابة.

٧- الانس: استشعار لطف المشابة اي يانس بالأذكار فيغيب عنه رؤية ما لا يجب، وقيل الانس: انبساط المحب الى المحبوب.

٨- الاتصال: مكاشفات القلوب ومشاهدات الاسرار او وصول السر الى مقام الذهول.

٩- الوجد: رؤية معنى من احوال الاخرة ومن المفاهيم الاخرى، الحضور والسكر والصحو والذوق والتجلي والمكاشفة والمشاهدة.

وسنكتفي بذكر هذه الاحوال والمفاهيم الصوفية، لكثرتها وعدم احصائها كلها وحتى لا يخرج البحث عن هدفه ومغزاه ذكرناها للاطلاع والتوضيح.[١]

المطلب الثاني: بدايات التصوف في بلاد الاندلس:

بما ان التصوف ينظر له في الفكر العربي الاسلامي، انه من فروع الفلسفة الدينية، والاساس له شوق النفس الانسانية الى الاتصال بالله تعالى[٢].

هذا الفكر لم يلقى قبولاً في بدايته لدى اهل بلاد الاندلس، لتمسكهم بالأصول من المذهب المالكي، المذهب الوحيد لأهل البلاد الرافضين للمذاهب والافكار الاخرى وانغلاقهم عليه لطبيعة موقعهم وقرب العدو منهم مع وجود بقايا من ديانات اخرى معهم في تلك الارض، وكذلك لم يتقبل الاندلسيون للفكر الصوفي كونه فرع من فروع الفكر الفلسفي والتي كانوا لا يقبلوا بها في بلادهم، فاهتمام الاندلسيون كان موجه نحو العلوم الشرعية واللغة العربية، مما جعلهم يعزفوا عن الفلسفة وعلومها، فلم يكن لهم فيها حظ واهتمام، ومن يهتم بالفلسفة يتهموه بالزندقة والكفرة، وربما يتم اضطهاده ومقاطعته من قبل العامة، مما جعلا لفلاسفة ينتهجون طريقين في بلاد الاندلس، بعضهم مال الى التصوف مبتعداً عن الفلسفة بمفهومها البحت متبعين لطريقة افلاطون،[٣]

(١) السيوطي: معجم مقاليد العلوم، ص٢١٠-٢١٣؛ للمزيد ينظر: ابن خلدون: التاريخ، ١/ ٦١١-٦٢٤؛ الاحمد نكري: دستور العلماء، ١/ ١٥٧و ١/ ٢٠٣-٢١٢و ٢/ ١٦٩-١٧٢؛ التهانوي: كشف اصطلاحات الفنون، ١/ ٤٢-١٠٠٣و ٢/ ١٠٦٨-١٨٨١؛ آنا ماري شيمل: الابعاد الصوفية، ص١٢٥-٢٥٨.

(٢) العكيدي: برزان ميسر حامد احمد، مدينة شلب من الفتح العربي الاسلامي حتى سقوطها في ايدي البرتغاليين (٩٢-٦٤٠هـ/ ٧١١-١٢٤٢م)، (اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل-كلية التربية-٢٠٠٩م)، ص١٩٤.

(٣) افلاطون: أحد اساتذة الحكمة، الحكيم افلاطون أحد الاساطين الخمسة للحكمة من بلاد اليونان، كان كبير القدر مقبول القول وله بلاغة في مقاصده، اخذ علومه عن فيثاغورس، وشارك سقراط في الحكمة، صنف كتب في الحكمة، في آخر عمره انقطع للعبادة، عاش ثمانين سنة، كانت ولادته في مدينة أنيس. ينظر: القنوجي: محمد صديق خان بن حسين بن علي، أبجد العلوم، دار ابن حزم، (د.م-

ويعتمدوا في منهجهم على الذوق والكشف والمراقبة، اكثر من اعتمادهم على العقل والمنطق والقياس.[١]

فقد كان الصوفيون الاوائل أقرب الى منهج المفسرين والمحدثين، اتجاههم الدفاع عن الوحي والتقليد ويقدموها على العقل، فهم في بداية امرهم كانوا بعيدين كل البعد عن الزندقة وانتهاك الاحكام الشرعية، اي ليسوا أصوليين او روحانيين، فإننا نرجح بداياتهم كانوا جماعة محافظة على الشرع بوجه عام، وبدل اعتزال المجتمع كما كان فعل الزهاد الاوائل، كانوا يدعمون وبشدة تطبيق الشرع الحكيم واحكامه على غرار الزهد الذي كان يسري في البلاد الاسلامية، وكانوا متبعين منهاج الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.[٢]

لكن هذا الامر ربما كان في بلاد المشرق منبع التصوف وقبول اهله بالصوفية كمنهاج لكبار الزهاد، لكن الامر يختلف عنه في بلاد المغرب والاندلس، فانهم يمقتوا علم الفلسفة التي رأوا ان التصوف يخرج من رحمها، ونظروا الى الفلسفة نظرة كره وعدم استحسان لمفاهيمها، وكما ذكرت ولا غرابة لوجود هذه الافكار في الاندلس، لان فقهاء المالكية كانوا ملتزمين بأحكام الشريعة وملتزميها، هذه الالتزام دفعهم الى محاربة كل فكر او معتقد من شأنه يخرجهم عن الشرائع والتعاليم الاسلامية واصولها الاولى، مما يعطينا انطباع واضح عن عمق كرهم لغير المألوف من المذاهب الدينية.[٣]

وكما كان الحال مع بعض المفكرين في تلك المدة، كان المتصوفة الاوائل مهتمين كثيراً بالأفعال والتوجهات الاجتماعية أكثر من اهتمامهم بالمجتمع والتفاعل معه، فقد رفض بعضهم رياء الزهاد وتفضيل سيادة الذات الالهية على الذات الجسدية، وهناك فئة من المتصوفة علماء مهتمين بالجانب الاخلاقي وليس متصوفاً بالفعل، وبعضهم اهتم في توفير مصادر فكرية تكون مكونة لتقليد صوفي والاهتمام بالاستقامة، وممارسة الطقوس الاساسية، والتي ستميز تدريجياً الصوفين عن غيرهم من الصالحين والذين وضعوا في مصافهم.[٤][٥]

مع مرور الزمن تطورت فكرة الفلسفة الدينية، ومنها جانب ما كان يوافق الشرع الاسلامي الحنيف، كالحث على الاخلاق الحسنة والآداب الحميدة، هذا الاحسان والتجذيذ قابله اهل الاندلس بمثله، اما ما

٢٠٠٢م)، ص٢٩٦.

(١) دويدار: حسين يوسف، المجتمع الاندلسي في العصر الاموي (١٣٨-٤٢٢هـ/ ٧٥٥-١٠٣٠م)، مطبعة الحسين الاسلامية (مصر-١٩٩٤م)، ص٤٣٨-٤٤٠.

(٢) جرين: نايل، الصوفية نشأتها وتاريخها، ترجمة: صفية مختار، نشر مؤسسة هنداوي، (د.م-٢٠١٧م)، ص٥٥.

(٣) البشري: سعد عبد الله صالح، الحياة العلمية في عصر الخلافة في الاندلس ٣١٦-٤٢٢هـ/ ٩٢٨-١٠٣٠م، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ام القرى، كلية الشريعة للدراسات الاسلامية، مكة المكرمة-١٩٨٢م)، ص٣٣٦.

(٤) جرين: الصوفية نشأتها وتاريخها، ص٥٦.

(٥) البشري: الحياة العلمية في عصر الخلافة، ص٣٤١.

كان ينافي العقيدة والشرع الحنيف فقد لاقى معارضة شديدة، وشهروا بمن يظهره قابلوا هذه الافكار بالتعنيف.

نستنتج ان سيادة المذهب الواحد في بلاد الاندلس والتي رسخها وحرص على ترسيخها امراء البلاد، وعدم سماحهم بتعدد المذاهب، جعل من الصعوبة تغلغل الاتجاهات الدينية الاخرى الى داخل البلاد، فالمجتمع وامراء البلاد كانوا من الحرص على ان لا يعرفوا الا الكتاب العزيز كتاب الله الذي نزل على رسوله (صلى الله عليه وسلم) وموطأ الامام مالك بن انس،[1] وهذا شأنهم حتى حلول القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، فلم تشهد بلاد الاندلس وجود اماكن للصوفية كالربط[2] او الرباطات، [3] آنذاك بالمدة المذكورة آنفاً.

نعم كانت هناك رباطات وهي غير رباطات المريدين المتصوفة التي كانت منتشرة في المشرق، ففي بلاد العدوتين- المغرب والاندلس- طبعت تلك الربط بالطابع الحربي اكثر من سمة العبادة،[4] ففي المشرق زادت علاقة شيخ التصوف بالمريد واصبح الارتباط بينهما مصحوب بيمين يعرف بالبيعة، يتعهد فيه التابع بالولاء، فالمريد عليه التخلي عن الحياة الاسرية في فترة زمنية يحددها الشيخ- شيخ الطريقة- للعيش في مأوى صوفي، وارتداء ملابس معينة تميزهم

(١) مالك بن انس بن مالك بن ابي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن حبشيل، الامام ابو عامر عبدالله، الاصبحي، المدني امام دار الهجرة، واحد الائمة الاعلام، ولادته بعد سنة ٩٠هـ/ ٧٠٩م، ووفاته في شهر ربيع الاول سنة ١٧٩هـ/ ٧٩٥م. ينظر: ابن خلكان: احمد بن محمد بن ابراهيم الاربلي (٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار صادر (بيروت- ١٩٧١م)، ٤/ ١٣٥٠١٣٧؛ الذهبي: محمد بن احمد بن عثمان (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي (د.م- ٢٠٠٣م)، ٤/ ٧١٩.

(٢) الرباط: في بلاد المغرب والاندلس، كان الرباط للمرابطة وهو ملازمة ثغور الاعداء، واصله من مرابطة الخيل وارتباطها بإزاء العدو، وليس اماكن العبادة التي اوجدها الصوفية في بلاد المشرق والتي يراد بها ربط الله على قلبه بالصبر اي الاعتزال والزهد، فالرابط هنا الراهب والمتعبد. ينظر: الازهري: محمد بن احمد الهروي (ت٣٧٠هـ/ ٩٨١م)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض، دار احياء التراث العربي (بيروت-٢٠٠١م)، ١٣/ ٢٣٠؛ الجوهري: اسماعيل بن حماد الفارابي (ت٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: احمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، ط٤، (بيروت-١٩٨٧م)، ٣/ ١١٢٧.

(٣) المقدسي: محمد بن احمد (من علماء ق ٤هـ/ ١٠م) أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، مكتبة مدبولي، ط٣، (القاهرة- ١٩٩١م)، ص٢٣٦-٢٣٨؛ الطيبي: امين توفيق، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والاندلس، الدار العربية للكتاب (ليبيا-تونس-١٩٨٤م)، ص٨٢.

(٤) الشاذلي: عبد الله، الالتزام الصوفي، دار آفاق العربية (القاهرة-٢٠٠٦م)، ص١٧٩.

كصوفيين، اي انتقل التصوف الى مرحلة اضحى فيها الصوفيين افرادها عن غيرهم بطرق الالتحاق وعهود البيعة حركة جماعية مميزة داخل مجتمع يميز افرادها غيرهم بمراسيم كطوق الالتحاق وعهود البيعة والمظهر الخارجي، واستخدام عبارات غامضة.(١)

كان اول ظهور لمتصوفة بهذه الصفات ببلاد الاندلس، واشتهر بالزهد والتصوف الصوفي محمد بن عبد الله من مسرة (ت ٣١٩هـ/ ٩٣١م)(٢)، كانت طريقته في الزهد على غير ما كان معروف في بلاد الاندلس، فما اظهره من عبادة وزهد ففتن الناس به وتبعه جماعة أصبحوا انصاراً لتلك الطريقة التي اظهرها، وكان لابن مسرة اسلوب بليغ وقول وتدقيق في غوامض هي اشارات صوفية تنسبت له اشياء غير مرغوب بها.(٣)

هذا النموذج وغيره سيكون لهم تأثير فيما بعد في القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، حيث سيصبح تحول المرء الى الصوفية تجربة شاملة الى حد كبير، فالصوفية ستصبح تعني اموراً لم تكن تعنيها قبل ان تتحول الى حركة كبيرة تنتشر البلاد الاسلامية، ومنها بلاد الاندلس، وستتضافر عوامل لتعريف الناس بهم ففي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وجدنا ان معرفة الناس بهم بسيطة ولا شهرة لهم، لكن مع الايام سيكون لهم شأن وقوة.(٤)

ان خروج ابن مسرة من بلاد الاندلس في رحلة الى المشرق الاسلامي ايام الامير عبدالله بن محمد(٥)، ففي

(١) جرين: الصوفية نشأتها وتاريخها، ص٨٢.

(٢) محمد بن عبدالله بن مسرة الاندلسي، طلب العلم في الاندلس وسمع من شيوخها، ومنهم والده، رحل الى بلاد المشرق، وحصل على علوم كثيرة منها من اهل الجدل واصحاب الكلام والمعتزلة، فلما رجع الى بلاد الاندلس اظهر التنسك والورع، واغتر الناس بظاهره، فاختلفوا اليه، وسمعوا منه، لكن سرعان ما ظهر للناس سوء معتقده وقبح مذهبه، فتركه اولوا الفهم، له كلام عذب في التصوف والعرفان، والقول بالقدر، وهذا القول منه رد عليه عبدالله بن محمد بن نزار ابا بكر القرطبي بكتاب جمعة في الرد عليه واكثر فيه من الحديث والشواهد، كانت وفاة ابن مسرة الصوفي في سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م، ابن بشكوال: خلف بن عبدالملك (ت٥٧٨هـ/ ١١٨٣م)، الصلة في تاريخ ائمة الاندلس، نشر وتصحيح/ السيد عزت العطار الحسيني، ٧/ ٣٥٩؛ الذهبي: سير اعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، ط٣، (د.م- ١٩٨٥م)، ١٦/ ١٠٨.

(٣) الحميدي: محمد بن فتوح عبد الله (ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس، الدار المصرية للتأليف (القاهرة-١٩٦٦م)، ص٦٢.

(٤) جرين: الصوفية نشأتها وتاريخها، ص٨٢-٨٣.

(٥) الامير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الاوسط بن الحكم الربضي بن هشام الرضي بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، صاحب بلاد الاندلس توفي في شهر ربيع الاخر سنة ٣٠٠هـ/ ١٩١٢م، حكم البلاد لمدة ٢٥سنة، كان ملتزماً بالصلاح والعبادة والعدل والجهاد له غزوات كثيرة، تولى امر الاندلس بعده حفيدة عبد الرحمن الناصر. ابن الابار: محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي البلنسي (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام هراس، دار الفكر (لبنان-١٩٩٥م)، ١/ ٢٢٦؛ نقلاً عن ترجمة حفيدة؛ ابن الابار: الحلة السراء، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، ط٢، (القاهرة-١٩٨٥م)، ص١٩٧؛ نقلاً عن

رحيل ابن مسرة الى المشرق اظهر اموراً وكشف عن نفسه حقائق فاتهم بالزندقة فقد كان له مجالسات مع المعتزلة واهل علم الكلام، فلما رجع الاندلس هارباً اظهر الورع والنسك مما جمع حوله الناس لاغترارهم بظاهرة، فلما سمعوا منه معتقده تركوه وجفاه اهل البلاد لوضوح سوء معتقده لهم، فمن اقواله المشبوهة الاستطاعة وانفاذ الوعيد، لكن افترق الناس حول معتقده فرقتين، منهم من اوصله الى جد الامامة في العلوم والزهد، والاخرى تطعن فيه وتتهمه بالمبتدع في الدين، لما ظهر منه من كلام في الوعد والوعيد، والخروج عن ما في العلوم المعلومة بالأندلس، فلما سمع بمقولته الخليفة الامير عبدالرحمن الناصر[1]، اصدر الامر الى وزيره ومتولي الاحكام في قرطبة[2]، بمراقبته واتباعه لإظهارهم امور انكرت عليهم ولم يحبذها الفقهاء مع كره الناس لرواية ابن مسرة وقوله بخلق القرآن وتحريفه لتأويل الآيات القرآنية، وكذلك انه كان يتخذ الاطراف النائية من المدن للسكن، فاخذ المتولي لأمر قرطبة بتتبع ابن مسرة واتباعه خطوة بخطوة والقاء القبض عليه، عندما كان معتزلاً الناس في قرية تقع على اطراف قرطبة متخذا منها مستوطن، واتباعه لم ينقطعوا عن ارتياد مكانه وينتظروا رجعته والاخذ عنه، هذه الطائفة بقت تحت طائلة المحاربة والملاحقة طيلة حكم الخليفة عبدالرحمن الناصر.[3]

نستنتج ان التصوف والفلسفة وعلم الكلام لم يكن له ميدان في عهدي الامارة والخلافة ببلاد الاندلس، وان نشاط التصوف الفلسفي كان مقيداً

ترجمة حفيدة؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر تحقيق: محمد السعيد، دار الكتب العلمية (بيروت-د ت)، ١/ ٤٣٨. للمزيد ينظر: الحميدي: جذوة المقتبس، ص١٥٥؛ الذهبي: تاريخ الاسلام، ٦/ ٩٦٨؛ الذهبي: سير اعلام النبلاء، ١٤/ ١٥٥-١٥٦.

(١) عبدالرحمن الناصر لدين الله بن محمد بن الامير عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن الاوسط بن الحكم الربضي بن هشام الربضي بن عبدالرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن الحكم امير الاندلس وخليفتها ابو الحكم المستنصر، والده محمد قتله اخوه المطرف بن عبدالله في صدر دولة ابيهما عبدالله، تولى الامر في الاندلس وله من العمر اثنتان وعشرون سنة، كان شهماً صارماً، اول من تسمى امير المؤمنين في بلاد الاندلس فمن توليه الى السنة السابعة عشر من ولايته يخطب له بالإمارة، ففي سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م تسمى بأمير المؤمنين، ولقب بالناصر لدين الله، ولايته كانت سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م، كنيته ابا مطرف، وحد بلاد الاندلس تحت طاعته بعد ان كانت متفرقة، توفى في شهر رمضان سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م. ابن الابار: التكملة لكتاب الصلة، ١/ ٦٦؛ الحميدي: جذوة المقتبس، ص١٢-١٣؛ الذهبي: تاريخ الاسلام، ٧/ ٨٩١.

(٢) قرطبة: قاعدة بلاد الاندلس، وام مدائنها، دار الامراء والخلفاء من بني امية في الاسلام، المدينة ازلية من بناء الاول، محاطة ببساتين وخيراتها وفيرة. ينظر: مجهول: من علماء (ق ١٠هـ/ السادس عشر الميلادي)، تاريخ الاندلس، تحقيق: عبد القادر يوبابة، دار الكتب العلمية، (بيروت-٢—٩م)، ص٧٣-٧٣.

(٣) ابن الفرضي: عبد الله بن محمد بن يوسف الازدي (ت٤٠٣هـ/ ١٠١٢م)، تاريخ علماء الاندلس، نشر وتصحيح: السيد عزت العطار، مكتبة الخانجي، ط٣، (القاهرة-١٩٨٨م)، ٢/ ٤١-٤٢؛ الطيبي: دراسات وبحوث، ص٢٦١-٢٦٢.

ولا يمكن تجاوز الموافقة ما بين تعاليمه وتعاليم الشرع الحنيف، فلا بد من ان يتلاءم مع نصوص واحكام الشرع، وما خروج ان مسرة الفيلسوف الصوفي عن تعاليم الدين الحنيف ومحاربة الفقهاء والسلطة له، وما لاقاه من ابتعاد العامة عنه وتنكيل السلطة به وباتباعه، رسالة للكثيرين على شاكلته، فانصرف العديد من علماء الفلاسفة عما يتعلق بالعقائد وما لا يوافق الشرع الحنيف، واخذ بدراسة مظاهر السلوك كالأخلاق والآداب الانسانية فكان لبعضهم اقوال وآراء حكيمة وصائبة في ذلك الامر.[١]

ان انقطاع ابن مسرة في مكان نائي من أطراف مدينة قرطبة وتردد اتباعه عليه والاخذ عنه[٢]، الا دليل انه في رحلته الى الشرق تعلم فروع الفلسفة وتعلم من كتب التصوف، وانه أدرك ان الصوفية هم من يملكون المفاتيح الحقيقية للحكمة، وبالتأكيد الى جانب اتخاذه داره كمدرسة لها أثرها في التأثير الصوفي، فالربط بمثابة مؤسسة صوفية الاشد تأثيراً وتميزاً، لأنها المكان الذي يجمع الاتباع حول شيخهم لتلقي تعاليمه، وأنها النواة الاولى التي تجمعهم وسيدعمونها لاحقاً.

اتخاذ ابن مسرة لطريقة الزهد او طريقة التصوف، الطريقة الممكنة لمن يريد الفرار من سيادة رجال الدين المالكية، وانها الطريقة الوحيدة والمثلى لذلك الامر، حتى يستطيع ان يبث اصحاب هذه الطريق تعاليمهم في دائرة محصورة وضيقة من الاتباع والمريدين، ودون تعرضهم لخطر جسيم ان داهمتم السلطات، استطاع شيوخ التصوف والزهد الاوائل الاستعانة بالتفسيرات الرمزية وتوفيقهم بين النصوص والافكار الباطنية التي اكتسبوها من منهاج التصوف، وهذا ما ذكرناه من اعتزال رواد التصوف في الاندلس لحياة المدن والاعتكاف في المناطق النائية او الجبال او الغابات، كما فعل ابن مسرة، فالاجتهاد في الطاعة وحرمان النفس من الملذات، وايثار حياة الفقر على الغنى والصبر على الامراض، فكانت حياتهم انقطاع وعزلة وتأمل فكري والمرابطة في رباطات، ومنها رباطات تعبدية واخرى رباطات على الثغور طلباً للشهادة ومجاهدة العدو.[٣]

نجد ان نزعة الزهد الصوفي واضحة في عصر الخلافة الاندلسية في الشعر الاندلسي مثلاً نجدها واضحة، على اعتبار ان التصوف امتداد عن الزهد، ومن الذين لمع اسمه واعتبر من اصحاب الاتجاه الصوفي، وكان له شأن كبير محمد بن عبد الله بن ابي زمنين،[٤] والذي كان له مشاركات في الفقه والزهد

(١) البشري: الحياة العلمية في عصر الخلافة، ص٣٤٦.
(٢) الطيبي: دراسات وبحوث، ص٢٦١-٢٦٢.
(٣) ينظر: ابن الفرضي: تاريخ علماء الاندلس، ٢/ ٤١-٤٢؛ دويدار: المجتمع الاندلسي في العصر الاموي، ص١٩٤-١٩٥؛ الطيبي: دراسات وبحوث، ص٢٦١-٢٦٢.
(٤) محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد بن ابراهيم المري، المعروف بابن ابي زمنين، من اهل البيرة، كنيته ابا عبد الله، سكن قرطبة له رحلة الى المغرب فسمع بمدينة بجاية، له مؤلفات في الزهد والمواعظ ولع الناس بها وانتشرت في

والتبتل، وله تصانيف في ذلك. فيها الوعظ واخبار الصالحين، وقد هجر الدنيا وتخليه عنها وتركه لملذاتها ودللت على ذلك مؤلفاته واشعاره، فله شعر يدلل على الزهد والاستعداد والتأهب للرحيل جاء فيه:[1]

الموت في كل حين ينشر الكفنا

ونحن في غفلة عما يراد بنا

لا تطمئن الى الدنيا وبهجتها

وان توشحت من اثوابها الحسنا

اين الأحبة والجيران؟ وما فعلوا؟

اين الذين؟ كانوا لنا سكنا

ساقاهم الدهر كأساً غير صافية

فصيرتهم لاطباق الثرى رهنا

تبكي المنازل منهم كل منسجم

بالمكرمات وترثي البرّ والمننا

اذن ابن ابي زمنين تفنن في العلوم واستبحر منها، وصنف في الزهد والرقائق، وقال الشعر الرائق، مع جد واخلاص ومجانية للأمراء وله كتاب في الزهد (حياة القلوب) وكان من حملة الحجة.[2]

وكان الادب في الأندلس ظل الحياة في مجتمعها، ان لم يكن المرآة التي تعكس تلك الصورة، ففي الكثير من النصوص الادبية نجد جانب الزهد في المجتمع الاندلسي واضحاً بتلك الاشعار والحكم،[3] فمن شعراء الاندلس والذي له شعر في الزهد، وكان ليس من المتصوفة، لان غلب على اشعاره جانب الهزل والضحك والمداعبة الشاعر يحيى الغزال.[4]

فمع طبائعه بقول الشعر في جد والهزل، كان جليل ف نفسه وعلمه ومنزلته عند امراء البلاد وقد ارسله الامير الاموي رسولاً الى ملك الروم، واشعار كثيرة فشعره في الهزل جزل في معانيه دون فحش، وكلمة حق تقال عنه انه قال في الزهد اشعار منها:[5]

البلدان، كان حسن الهدي والاستقامة وطريق اظهار النسك والصدق وطيب الاخلاق، تاركاً للدنيا ومقبلاً على العبادة والعمل للآخرة والابتعاد عن السلطان، كانت وفاته سنة ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م بمدينة البيرة التي ولد فيها. الحميدي: جذوة المقتبس، ص٥٦؛ ابن بشكوال: الصلة، ص٤٥٨-٤٥٩؛ الذهبي، العبر، ٢/ ١٩٦؛ الذهبي: تاريخ الاسلام، ٨/ ٨٠٧.

(١) ابن خاقان: الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان القيسي (ت ٥٢٩هـ/ ١١٣٥م)، مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح اهل الاندلس، تحقيق: محمد علي شوابكة، دار عمار ومؤسسة الرسالة (د.م-١٩٨٣م)، ص٢٦٦؛ الذهبي: تاريخ الاسلام، ٨/ ٨٠٧.

(٢) الذهبي: سير اعلام النبلاء، ١٧/ ١٨٨-١٨٩.

(٣) دويدار: المجتمع الاندلسي في العصر الاموي، ص٢٠٠.

(٤) الاديب يحيى بن حكم الغزال، شاعر واديب وحكيم، ارسله الامير عبد الرحمن الاوسط في سفارة الى القسطنطينية، وحصل له اموال وذخائر من ملكها، كانت وفاته سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م، في امارة الامير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الربضي. الحميدي: جذوة المقتبس، ص٣٧٤-٣٧٥؛ ابن سعيد المغربي: علي بن موسى بن سعيد (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، ط٣، (القاهرة-١٩٧٥م)، ٢/ ٥٧-٥٨.

(٥) ابن دحيه الكلبي: عمر بن حسن الاندلسي (ت٦٣٣هـ/ ١٢٣٦م)/ المطرب في اشعار اهل المغرب، تحقيق: ابراهيم الأبيار وآخرون، دار العلم (بيروت-١٩٥٥م)، ص١٥٠.

الست ترى ان الزمان طواني
وبدل خلقي كله وبراني
تحيفني عضواً فعضواً فلم يدع
سوى اسمي صحيحاً وحده ولساني
ولو كانت الاسماء يدخلها البلى
لقد بلى اسمي لامتداد زماني
وما لي لا أبلى لتسعين حجّة
وسبع اتت من بعد سنتان
إذا عن لي شخص تخيل دونه
شبيه ضباب او شبيه دخان
فيا راغباً في العيش ان كنت غافلاً
فلا وعظ الادون لحظ عيان
وله قول آخر[1]
الناس خلق واحد متشابه
لكنّما تتخالف الاعمال
ويقال حقّ في الرجال وباطلٌ
اي امرئ الا وفيه مقال
ولكل انسان بما في نفسه
من عيبه عن غيره اشتغال
يستقل اللمم الخفيف لغيره
وعليه من امثال ذلك جبال
وينام عن دنياه نومة قانع
بنعيم دنياه وذلك خيال

ان هذه الاشعار وامثالها وجدت في الاندلس، فشعر الزهد الاندلسي جاء مضاداً للترف واللهو الذي ظهر في البلاد، ولرّبما ما تغلب أحدهما على الآخر في بعض الاوقات ولكن لا يخلوا وجود أحد الامرين مع وجود الامر الآخر، ووجود أحدهما يكون بدرجات متفاوتة ومختلفة بحسب ظروف معيشة المجتمع والامر مع جميع المجتمعات وبحسب الالتزام الديني في كل مجتمع.[2]

كل هذه الامور التي ذكرناها والتي وجدناها مصاحبة للأحداث التاريخية في بلاد الاندلس بينت لنا ان الزهد كان البدايات الاولى ثم التصوف الذي اخذ ينتهج منحى ابعد عن الزهد، وأصبح له ارتباط مع الفلسفة المبنية على اسس دينية وتحت مظلة الشرع الحنيف، وان كان يشوبها بعض الانحرافات، والتي لا تعد مخرجة عن الدين، فالزهد والتصوف لا يتعارض وان عارضتهما الفلسفة.

هذا الامر في بلاد الاندلس لم يستمر على حاله اذ تدهورت الاوضاع وانحلت الخلافة فشهدت البلاد وضعاً سياسياً صعباً أثر على المجتمع وفي جميع نواحي الحياة الاندلسية، فبرزت ظاهرة تسلط المتنفذين وقيامهم بتأسيس دويلات في عدة مناطق من البلاد، والتصوف على حاله لم يخرج عن طور الزهد، وبرز اسماء وان كان ليس له شهرة في التصوف، منهم علماء ذوو علم واسع مع ورع وزهد كان منهم القاضي

(١) ابن دحية، المصدر نفسه، ص١٥١.
(٢) دويدار: المجتمع الاندلسي في العصر الاموي، ص١٩٩.

محمد بن عبد الله ابن العربي.[1]

ابن العربي من عائلة مشهورة في الاندلس ابوه أحد رجالات الاندلس المعروفين والمقربين من بعض الحكام، وله اسديت مناصب ادارية في مدينة اشبيلية[2]، سعى والده الى الحرص على تكوين شخصية ابنه، وكان معلمه الاول ولما كان من اعيان الدولة اختار لابنه علماء كان أحدهم لضبط القرآن الكريم واحكامه، والآخر للغة العربية وعلومها، والثالث للرياضيات، فحذق في القرآن الكريم وعلومه واتقن علم اللغة العربية مع اطلاعه على الادب والشعر.[3]

كانت له رحلة الى المشرق سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م جال في مدنها والتقى كبار علمائها وحج البيت الحرام ثم دار الخلافة والتقى بالغزالي (رحمه الله)[4] وغيره من العلماء والادباء، ثم رجع الى بلاد الاندلس سنة ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م وحصل العلوم والمعارف ومنها علم الكلام وانواعه، فانه كان ذو علم واسع واطلاع ومعرفة، وحريص على نشر تلك المعارف، وتولى القضاء في مدينة اشبيلية فاخذ عنه الكثير من علماء الاندلس، وله عدة مؤلفات.[5]

كان ابن العربي قد التزم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واوذي في ذلك، وخسر كتبه وماله فصبر، وحصلت له محنة يقال سببها كثر كلامه واخباره عن روايات غريبة وحكايات عجيبة، فآذاه الناس بالكلام وطعنوا في حديثة،[6] مما يعطينا استنتاج ان اهل

(١) محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن احمد، الامام ابو بكر ابن العربي، المعافري، الاندلسي، من اهل اشبيلية، كان حافظاً احد اعلام الاندلس له رحلة الى المشرق لقى فيها الكثير من العلماء اخذ عنهم العلوم فتفن فيها متبحراً لكلامها، مقدماً متكلماً ثاقب الذهن، مع اداب واخلاق مع زهد وتصوف، وكانت وفاته في مدينة فاس في شهر ربيع الاخر سنة ٥٤٣هـ/ ١١٩٨م. الذهبي: تاريخ الاسلام، ١١/ ٨٣٤؛ النباهي: علي بن عبدالله بن محمد (ت نحو ٧٩٢هـ/ بعد ١٣٩٠م)، تاريخ قضاة الاندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، تحقيق: لجنة احياء التراث العربي، دار الافاق الجديدة، ط٥، (بيروت-١٩٨٣م)، ص١٠٥-١١٠.

(٢) اشبيلية: مدينة جليلة في بلاد الاندلس، وهي مدينة ازلية قديمة، والمدينة واسعة وعامرة لها اسوار حصينة وسوقها عامر واهلها كثيرين ميسوري الحال، وفيها جامع حسن وكبير، في سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م تغلب عليها العدو، بعد حصار دام لمدة أشهر، مما اضطر اهلها الى تسليمها. الحميري: محمد بن عبد المنعم (ت٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م)، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: احسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط٢، (بيروت-١٩٨٠م)، ص٥٨-٦٠.

(٣) ابن خاقان، مطمح الانفس، ص٢٩٧-٢٩٨؛ النباهي: تاريخ قضاة الاندلس، ص١٠٥؛ أعراب: سعيد، مع القاضي ابي بكر بن العربي، دار الغرب الاسلامي، (بيروت-١٩٨٧م)، ص٩.

(٤) ابو حامد محمد بن محمد بن احمد بن احمد الغزالي، الامام حجة الاسلام ولادته في مدينة طوس سنة (٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، رحل عنها الى بغداد وباقي بلاد المسلمين ودرّس في مدارس بغداد، ثم عاد الى طوس وتوفى فيها بعد ان بنى خانقاه للصوفية في يوم الاثنين ١٤ جمادي الاول سنة ٥٠٥ هـ/ ١١١١م. ابن خلكان: وفيات الاعيان، ٤/ ٢١٦-٢١٨.

(٥) ابن خاقان: مطمح الانفس، ص٢٩٧

(٦) النباهي: تاريخ قضاة الاندلس، ص١٠٦؛ اعراب: مع قاضي

الاندلس والقائمين على حكم بلادهم يبغضون علماء علم الكلام وان كانوا متصوفة، ومن يظهر شيء من ذلك وعده وجزاه الويل، ومن وجد عنده شيء من كتب علم الكلام اخذت منه واحترقت وتم محاسبة من وجد عنده شيئاً منها.[١]

هذه الاجراءات لم تمنع حركة التصوف بل ازدادت وظهر في الاندلس رجالات اتخذوا من غرب الاندلس ملاذاً لهم بعيداً عن السلطات، فالموقع الجغرافي البعيد سهل الامر وكانت بعض المدن مقصداً للصوفية ولا سيما المتصوفة الذين مزجوا التصوف بطابع الجهاد ضد العدو، فكثرت الاربطة في غرب الاندلس لوقوعها القريب من البحر وكانت تلك الرباطات ابرز اماكن التواجد للصوفية،[٢] برزت اسماء من المتصوفة مثلوا النواة الاولى للتصوف بمفهومه الحقيقي والذي ابتعد قليلاً عن الزهد الذي كان عليه الصحابة والتابعين، تلك الحركات تزعمها رجال مثل ابو العباس احمد بن العريف الضهاجي (ت ٥٣٦هـ/ ١١٤١م) [٣] وقد كان الشخصية المحورية في الحركة الصوفية ببلاد الاندلس، لاطلاعه وتمرسه بالعلوم الدينية التقليدية.[٤]

ولابن العريف رفقاء اخرين يسيرون على نهجه ويقولون بقوله منهم ابن برجان (ت٥٣٦هـ/ ١١٤١م)،[٥] والذي اهتم بالسلوك العملي مع الزهد والعبادة وجهد نفسه بالاهتمام بالجانب العملي النظري، فعد أحد شيوخ التصوف الاندلسي المميزين، والذي كان مثالاً نظرياً في التصوف آنذاك.[٦]

ابو بكر، ص٩-١١.

(١) المراكشي: عبد الواحد بن علي التميمي (ت٦٤٧هـ/ ١٢٥٠م)، المعجب في تلخيص اخبار المغرب من لدن فتح الاندلس الى آخر عصر الموحدين، تحقيق: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية (صيدا-بيروت-٢٠٠٦م)، ص١٣٦.

(٢) الحميري: الروض المعطار، ص٣٤٢؛ العكيدي: مدينة شلب، ص١٩٤.

(٣) ابو العباس بن العريف الضهاجي: احمد بن محمد بن موسى بن العريف، ابو العباس الهاجي، فقيه امام زاهد، عارف محقق، له قول في الزهد والتصوف، توفي سنة (٥٣٦هـ/ ١١٤١م)، الضبي: احمد بن يحيى بن احمد (ت ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس، دار الكتاب العربي (القاهرة-١٩٦٧م)، ص١٦٦؛ الذهبي: سير اعلام النبلاء، ٢٠/ ١١٣-١١٤.

(٤) الطيبي: دراسات وبحوث، ص٦٢؛ عداس: كلود، التصوف العربي وبروز ابن العربي، ترجمة: محمد لطفي اليوسفي، (بحث في كتاب الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس، تحرير سلمى الخضراء الجيبوتي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، بيروت-١٩٩٩م)، ٢/ ١٢٧٤.

(٥) عبد السلام بن عبد الرحمن اللخمي المشهور بأبي الحكم بن برجان مغربي، اندلسي، شيخ الصوفية، له اقوال بعلم الكلام والتصوف مع زهد واجتهاد في العبادة، توفي مغرباً عن وطنه في مراكش سنة ٥٣٦هـ/ ١١٤١م، وقبره يزار الى جانب صاحبه الزاهد الكبير ابي العباس بن العريف. الذهبي: سير اعلام النبلاء، ٢٠/ ٧٢-٧٣.

(٦) القاري: حسان، ابن برجان الاندلسي وجهوده في التفسير الصوفي وعلم الكلام (ت٥٣٦هـ/ ١١٤٢م)، بحث منشور في مجلة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، دمشق، ٢٠٠٧م، العدد الاول، مج ٢٣/ ٣٦٥-٣٦٧.

بعد ذلك نجد ان التصوف والافكار الصوفية بدأت بالتبلور واتخاذ طابع روحي فلسفي، لكنها وفق المبادئ الاسلامية ومنذ مطلع (ق ٦هـ/ ١٢م)، فقد كان محمد بن الحسين[١] حظ في التصوف ورائداً له في مدينته، وكان رجلاً صوفياً ظاهري المذهب مع ميل الى الزهد، كانت له رحلة الى بلاد المشرق التقى بعض المشايخ والذين كانوا يمثلون حلقة بين متصوفة المشرق والمغرب.[٢]

يعد هؤلاء الثلاثة رواد واكابر حركة التصوف الاندلسي ايام المرابطين، لما ظهر امرهم استوحشوا منهم، ونفوهم الى بلاد المغرب، وكانت وفاتهم جميعاً في تلك البلاد، ربما ان سبب النقمة عليهم هو ما قاموا به من شجب واستنكار لبعض اعمال المرابطين في نهاية حكمهم وتهاونهم في امر الدين، فقد برز الى الوجود حركة صوفية خطيرة بعد نفي هؤلاء العلماء والخلاص منهم، فقد برز الى الوجود ظاهرة صوفية على غير ما كان معروف، تلك الحركة قامت بثورة ذات اهداف وابعاد اراد من قام بها تحقيق مآربه وكان احد تلامذة ابن العريف مع فروقات فيما بين الشيخ والتلميذ.[٣]

ثار ابن قسيّ[٤] في غرب الاندلس وكان ذا حيل وشعبذة ومعرفة وبلاغة قام بحصن مرتلة،[٥] ثم اختلف عليه اصحابه، ودسوا عليه من اخرجه بحيلة وسلموه الى الموحدين[٦]؛ ففي زمن الموحدين قويت حركة التصوف، ونجد ان كبار الصوفية عاشوا في ايام الموحدين، وعلى ايديهم ازدهر التصوف كحركة، وسينطلقوا من الاندلس الى البلاد الاخرى المغرب والمشرق للمساهمة وتأسيس مدارس وطرق صوفية مثلاً احد الشخصيات ترك الاندلس واستقرت في المشرق الشيخ الصوفي محي الدين بن عربي (٦٣٨هـ/

(١) محمد بن الحسين بن احمد بن يحيى بن بشر، ابو بكر الانصاري الميورقي، نزيل غرناطة، كان فقيها زاهداً صالحاً محدثاً زهده وصلاحه يغلب عليه، استدعاه صاحب المغرب مع رفيقاه ابن العريف وابن برجان فلما حملوا الى مراكش، استطاع الهروب الى بجاية وتوفى فيها سنة ٥٣٧هـ/ ١١٤٢م. الذهبي: تاريخ الاسلام، ١١/ ٦٧٥.

(٢) عداس: التصوف العربي، ٢/ ١٢٧٦.

(٣) عداس: التصوف العربي، ٢/ ١٢٨٢.

(٤) احمد بن قسيّ: صاحب خلع النعلين من اهل الاندلس، قام بثورة ودعا لنفسه واخذ من الناس البيعة، لكن لما تبين بطلان دعوته ومكره ومجانبته للشرع دس عليه اتباعه واخرجوه من الحصن وسلموه الى الموحدين، فاستقدموه الى المغرب وبقي فيها حتى قام أحد اتباعه بقتله سنة ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م. الذهبي: تاريخ الاسلام، ١٢/ ١٨٨؛ الذهبي: سير اعلام النبلاء، ٢٠/ ٣١٦؛

(٥) حصن مارتله: حصن يقع على نهر بطليوس بجزيرة الاندلس، منها الزهد موسى بن عمران المارتلي، اشتهر باشبيلية بالصلاح، توفى سنة ٥٩١هـ/ ١١٩٤م. الحميري: الروض المعطار، ص٥٢١.

(٦) الذهبي: سير اعلام النبلاء، ٢٠/ ٣١٦؛ بالنثيا: انخل جنثالث: تاريخ الفكر العربي، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة-د ت)، ص٣٧١؛ العكيدي، مدينة شلب، ص١٩٤-١٩٥؛ الطيبي: دراسات وبحوث، ص٢٦٢.

١٢٤٠م)[١]؛ فقد مثل محي الدين الصورة الواضحة والجلية لمذهب التصوف الاندلسي، ومؤلفاته في التصوف تدل على الفكر الواضح للتصوف والتي كان يحبذ فيها المبيت في المقابر والمناجاة للقبور وهذه كانت ابرز سماته والكاشف الحقيقي لما كان عليه من طريقة ومنهاج.[٢]

أصبح واضحاً مسار التصوف فقد مثل محي الدين ابن العربي فكرة وحدة الوجود والتي ستصبح كمدرسة صوفية خاصة به، فقد ترك النظر في العلوم الباطنية وقبل عقيدة القول بوحدة الوجود، واتخذها مدرسة تحت زعامته، اتباعه عدوه خاتم الاولياء، وان الانسان الكامل يمكن ان تتجلى فيه جميع الصفات الالهية، إذا تسير له الاستقرار في وحدانية الله، واعتقد ان هذا الامر اتى من اثار وتراكمات فلسفية شابها زهد، فتولد منه تصوف فيه بعض المحاذير الغير مرغوب فيها.[٣]

هذه الثورة التي احدثها ابن العربي اوجدت رجال في الاندلس لهم اقوال في التصوف لكنهم امنوا بفكرة جهاد الاعداء وكان منهم ابو الوفاء راجح[٤]، صوفياً مجاهداً له منهاج خاص في الفكر الصوفي، هذا يدل على ان حركة التصوف والنظرة الجهادية متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، كانت حركة التصوف آنذاك حركة بعث للهمم في النفوس والجهاد للنفس والاعداء على حد سواء.[٥]

اضطربت اوضاع بلاد الاندلس، واخذت المدن تتهاوى تحت ضربات الاعداء، وقد كانت الاخطار تحدق بمجتمع الاندلس، فاثر ذلك سلباً على الوجود الموحدي في الاندلس، وذلك الامر سيؤدي لاحقاً الى ظهور زعامات محلية تقود البلاء منكفئة على نفسها لتحافظ على المتبقي من البلاد، في هذه الاوضاع ظهرت كوكبة من المشايخ الصوفية والذين عاشوا فترة الاضطراب تلك وسينفرط عقد الاندلس وتتناثر

(١) محمد بن علي بن محمد بن احمد بن عبد الله، ابو بكر الطائي، محي الدين الاندلسي المعروف بابن العربي، ولادته بمدينة مرسيه بالأندلس، رحل الى بلاد المشرق فتعلم على يد علمائها، وكان له مقدرة على الكلام وتبحر في علومه، برع في علم التصوف وله فيه مصنفات، له اقوال واشياء امتزجت بعلم الخيال والخطرات، توفى في دمشق سنة ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م. الذهبي: تاريخ الاسلام، ١٤/ ٢٧٣؛ ابن الجزري: محمد بن محمد بن يوسف (ت٧٣٣هـ/ ١٤٢٩م)، غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية (د.م-١٩٣٢م)، ٢/ ٢٠٨.

(٢) الذهبي: تاريخ الاسلام، ١٤/ ٢٧٣؛ الطيبي: دراسات وبحوث، ص٢٦٣.

(٣) بالنثيا: تاريخ الفكر، ص٣٧٦/ ٣٨١؛ الجهني: مانع بن حماد، الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة، دار الندوة، ط٥، (الرياض-٢٠٠٣م)، ١/ ٢٥٩-٢٦٥.

(٤) راجح بن ابي بكر بن ابراهيم ابو محمد بن منجال المنورقي، رجلاً صوفياً، توفى بمكة في شهر شوال سنة ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م. الذهبي: تاريخ الاسلام، ١٤/ ٤٤٠م.

(٥) سيسالم: عصام سالم، جزر الاندلس المنسية التاريخ الاسلامي لجزر البليار (٨٩-٦٨٥هـ/ ٧٠٨-١٢٨٧م)، دار العلم للملايين (بيروت-١٩٨٤م)، ص٥١٦-٥١٩؛ بالنثيا: تاريخ الفكر، ص٣٧٦؛ الجهني: الموسوعة الميسرة في الاديان، ١/ ٢٥٩-٢٦٥.

مدنه، ومن تلك الشخصيات التي كان لها تأثير كبير على اهل العدوتين الشيخ ابو مروان اليحانسي (ت ٦٦٧هـ/ ١٢٦٩م)،[١] والذي اتخذ من حياة الزهد والتصوف منهاجاً له، والذي له كرامات قد ظهرت ولا سيما انه اتخذ من تأثيره الصوفي منهاجاً للجهاد ضد الاعداء فتصوفه خرج من دائرة التصوف السلبي الانطوائي.[٢]

وكذلك عاش في فترة الاخطار العاصفة ببلاد الاندلس رجل تصوف اخر انه الشيخ ابن سبعين (ت٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م)[٣]، والذي كان له سلوك عجيب واطلاع بعلم الحيل بالحروف ومعرفته استعمال للألغاز والرموز والاصطلاحات غير المألوفة، فاخباره وعلمه وتصوفه كان أقرب الى الفلاسفة منه الى الزهد، ولكن كان بارعاً فسخر اغراض التصوف ومزجها مع الزهد.[٤]

كان لسقوط مدن الاندلس المهمة وقواعده بيد الاسبان انذاراً بظهور وضع جديد، فسقوط مدن الاندلس بيد الاسبان قد عاصرت نهاية الموحدين وانحلال عقد دولتهم، لكن المسلمين في الاندلس استطاعوا الحفاظ على بعض المناطق في جنوب البلاد، حيث قامت مملكة غرناطة، والتي يمكننا ان نسميها الاندلس الصغرى.[٤]

(١) عبدالملك بن ابراهيم ابن بشر القيسي، ابو مروان الولي الصالح، ابن اخت صاحب الصلاة، البجانسي نسبة الى قرية بجانس من قرى وادي آش، كان رحمه الله صوفياً، له رحلة الى المشرق استقر في مدينة سبته وتوفى بها سنة ٦٦٧هـ/ ١٢٦٩م. ينظر: ابن ابي زرع الفاسي: الانيس المطرب بروض القرطاس في ذكر ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، مطبعة صور (فاس- ١٩٧٢م)، ص٤٠٣؛ ذكره الونجاسي؛ البادسي: عبدالحق بن اسماعيل، المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق: سعيد اعراب، المطبعة الملكية، ط٢، (الرباط- ١٩٩٣م)، ص٩٩-١٠٢؛ ذكره انه من اهل وجانس؛ المقري: احمد بن محمد التلمساني (١٠٤١هـ/ ١٦٣٢م)، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: احسان عباس، دار صادر (بيروت- ١٩٩٧م)، ٢/ ٦٩٠-٦٩١؛ ذكر البجانسي؛ الطيبي: دراسات وبحوث، ص٢٦٧-٢٧٥.

(٢) الطيبي: دراسات وبحوث، ص٢٦٧-٢٦٨.

(٣) ابن سبعين: عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن نصر، ابو محمد الشهير بابن سبعين، العكي، المرسي الاندلسي، الفقية الجليل، العارف، النبيل، الحاذق، الفصيح، البارع، صوفي متفلسف، مع زهد وتقشف، كانت وفاته في مكة المكرمة سنة ٦٦٩/ ١٢٧٠م. المقري: نفح الطيب، ٢/ ١٩٦-١٩٧؛ ابن العماد الحنبلي: عبد الحي (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، دار احياء التراث العربي (بيروت-د ت)، ٥/ ٣٢٩-٣٣٠؛ بالنثيا: تاريخ الفكر، ص٣٨٧-٢٩٠.

(٤) بالنثيا: تاريخ الفكر، ص٣٨٩-٣٩٠.

(٤) السامرائي: خليل ابراهيم، وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، دار ابن الاثير (الموصل- ١٩٨٦م)، ص٢٨٧.

المبحث الثاني:
التصوف في الاندلس - غرناطة-وأبرز رجالاته حتى سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م

فيما مضى تتبعنا حركة التصوف في الاندلس منذ الفتح وظهور الزهد في المجتمع، ووجدنا ظهور التصوف وبداياته واشتداد حركته منذ اواخر (ق ٥هـ/ ١١م)، كحركة صوفية مثلها رجال على عهد المرابطين كان على رأسها الشيخ العارف بالله ابن العريف (٥٣٧هـ/ ١١٤١م)، ثم جاء الموحدين لحكم البلاد فقويت في عهدهم حركة التصوف لما اظهروه من تسامح مع المتكلمين والفلاسفة على عكس المرابطين الملتزمين بالأصول المالكية، فكان كبار صوفيي الاندلس والمغرب في عهد الموحدين من ذوي الشأن محي الدين ابن العربي (ت ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م) وآخرهم ابن سبعين (ت ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م)، نلاحظ مما ذكرناه ان حركة التصوف والزهد والتنسك، اكثر ما تظهر في الفترات التي تعجز فيها السلطات الحاكمة في الدفاع عن اراضيها امام الاخطار المحدقة بها من خارج الحدود، او في الفترات التي تسوء فيها الاحوال الاجتماعية وينتشر الفساد او عند وقوع الناس تحت الظلم والاضطهاد.[١]

اذن كانت مدة حكم المرابطين والموحدين العصر الذهبي للمتصوفة في الاندلس، ففي ذلك الوقت كان قد انجبت بلاد الاندلس كبار الصوفية والذين غادر اغلبهم الاندلس الى خارجها، وكونوا طرق ومدارس من كبريات المؤسسات الفكرية في ذلك العصر، وما مدرسة التصوف في دولة الاندلس – غرناطة– الاحلقة من تلك السلسلة التي بدئها محمد بن مسرة.

استمرت الدولة الموحدية الى سنة (٦٦٨هـ/ ١٢٦١م) في المغرب، اما في الاندلس كانت قد ضعفت قبل هذا التاريخ، وتقريباً منذ النصف الاول من القرن السابع الهجري/ بداية ق ١٣م، وبقي في دولة الاندلس فقط غرناطة[٢] في الوسط وولاية المرية[٣] في الشرق وولاية مالقه[٤] في الجنوب، هذه هي المنطقة التي حافظ عليها او استطاع الحفاظ عليها بنو الاحمر لمدة قاربت القرنين والنصف من الزمن.[٥]

عاش في دولة بني الاحمر–غرناطة–الكثير من الزهاد والصلحاء والصوفية، ولكنهم لم يشتهروا ويذيع صيتهم في الآفاق، كما ذاع وشاع صيت المتصوفة في زمن المرابطين والموحدين كابن العريف ومحي الدين ابن عربي وابن سبعين، وسابين فيما يأتي

(١) الطيبي» دراسات وبحوث، ص٢٦٤-٢٦٥.

(٢) غرناطة: مدينة بالأندلس بينها وبين وداي آش اربعون ميلاً، وهي آخر المعاقل الاسلامية في الاندلس بل هي الاندلس الصغير. ينظر: الحميري: الروض المعطار، ص٤٥-٤٦.

(٣) المرية: مدينة في الاندلس بناها الخليفة الاموي عبد الرحمن الناصر سنة ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م، كانت على الساحل ومرباطاً للمجاهدين وأكبر مراسي الاندلس. الحميري: الروض المعطار، ص٥٣٧.

(٤) مالقة: مدينة اندلسية تقع على شاطئ البحر، وهي مدينة حسنة عامرة آهله كثيرة المنازل. الحميري: الروض المعطار، ص٥١٧.

(٥) السامرائي: تاريخ العرب وحضارتهم، ص٢٨٩-٢٩٠.

الذين ذاع صيتهم: -

أبرز رجالات التصوف في غرناطة حتى سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م: بحسب ترتيب الحروف:

١- محمد بن احمد بن جبير بن سعيد الكناني

هـ: محمد بن احمد بن جبير بن سعيد بن محمد بن سعيد ابن جبير بن محمد بن مروان بن عبد السلام بن جبير الكناني، من اهالي بلنسية[١]، موطنه في غرناطة، له رحلات جال فيها بالمشرق والمغرب ثم رجع الى غرناطة، كان اديباً بارعاً وشاعراً مجيداً له اجادة في الخط، رحل الى المشرق ثلاث مرات، حج الديار المقدسة، في رحلاته كلها، اهم مؤلفاته الرحلة المشهورة رحلة ابن جبير، اخر رحلاته عند رجوعه من المشرق عاد الى غرناطة يوم الخميس من شهر شعبان سنة ٥٨٧هـ/ ١١٩١م.[٢]

بعد رجوعه من رحلته الاخيرة سنة (٥٨٧هـ/ ١١٩١م)، انقطع لسماع الحديث، والتصوف، ورواية ما عنده من علم ومشاهدات في رحلته، بعدها رجع في رحله الى المشرق، وجاور في مكة المكرمة طويلاً، ثم في مصر يحدث فيها ويؤخذ منه علومه، له مشايخ كثير في بلاد المغرب وبلاد المشرق اخذ عنهم العلوم، كالحديث وعلم اللغة العربية، واخذ الكتابة عن ائمة الكتاب في عصره، واخذ التصوف عن مشايخ منهم عبدالرحمن بن اسماعيل بن ابن سعيد الصّوفي، واجاز له، وبحران الصّوفي العارف ابو البركات حيّان بن عبدالعزيز وكذلك من ابنه الحاذي حذوه، كما كان علمه عن مشايخ كثير اخذ عنه طلبه علم كثر في المغرب والمشرق، في البلاد التي زارها ورحل اليها.[٣]

توفي ابن الجبير الرحالة الصوفي في مدينة الاسكندرية[٤]، ليلة الاربعاء ٢٩ شعبان سنة ٦١٤هـ/ ١٢١٧م.[٥]

٢- محمد بن ابراهيم بن محمد بن محمد الانصاري:

هـ: محمد بن ابراهيم بن محمد بن محمد الانصاري كنيته ابو عبد الله ويعرف بالصناع، من اهالي غرناطة، كان شيخاً من مشايخ التصوف له اتباع كثيرين،

(١) بلنسية: مدينة مشهورة بالأندلسية، متصلة بكورة تدمير، تقع شرقي مدينتي تدمير وقرطبة، مدينة برية بحرية ذات اشجار وأنها، تعرف بمدينة التراب، اهلها اهل خير يعرفوا بعرب الاندلس، ينظر: ياقوت الحموي: ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، معجم البلدانـ دار صادر، ط٢، (بيروت-١٩٩٥م)، ١/ ٤٩٠؛ الحميري: الروض المعطار، ص٩٧.

(٢) لسان الدين ابن الخطيب: محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني (ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، الاحاطة في اخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، (بيروت-٢٠٠٣م)، ٢/ ١٤٦-١٤٧.

(٣) لسان الدين ابن الخطيب: المصدر نفسه، ٢/ ١٤٧-١٤٨.

(٤) الاسكندرية: مدينة مشهورة من مدن مصر، وهي مدينة قديمة البناء، فتحها المسلمون سنة ١٦هـ/ ٦٣٧م، تقع على ساحل البحر، من قواعد مصر، تتصل حدودها من جهة الجنوب ببلاد النوبة ومن جهة الشمال بالبحر الشامي (المتوسط) ومن الشام بفحص التيه، ومن الشرق ببحر القلزم ومن جهة الغرب ببلاد الواحات. ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان: ١/ ١٨٢-١٨٩؛ الحميري: الروض المعطار، ص٥٤-٥٥.

(٥) لسان الدين ابن الخطيب: الاحاطة، ٢/ ١٥٢.

طريقته فذة مع حسن السمت وكثرة الذكر وادامته، يتبعه من اهل الخشونة الاتباع الكثيرين، يقوم اتباعه بالتألف عليه وقضاء اعماله في الفلاحة، اخذ العلم والقراءة على استاذ الجماعة، ابي جعفر بن الزبير[١].

كان محمد الصناع من الصالحين الفضلاء، وله حظ من الطلب ومشاركة يقوم على ما يحتاج اليه من الوظائف الدينية، وحاله في التصوف يتكلم في طريق المتصوفة على مذهب شيخه ابي عبد الله الساحلي، كلام جهوري، وكان له في حاله فراسة، توفى ليلة الاثنين من شهر شوال سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م، كانت جنازته مهيبة اجتمع لها لاتباع من اهل البادية وشيوخها.[٢]

وذكر النباهي بانه: محمد بن ابراهيم بن محمد بن غالب الانصاري، فقيهاً فاضلاً، ومن اجتمع له العلم والمال وحسن الخلق، ولعله وهمّ بالاسم ام انه شخص آخر لم أستطع التوصل الى مصدر يؤكد ذلك، الا انه عاش في المدة نفسها وفي بلاد الاندلس.[٣]

٣- محمد بن حسنون الحميري الغرناطي.

هو: ابو عبد الله، رجلاً فاضلاً مع صلاح وشهرة بالولاية والكرمة، مقصداً للناس في الشدائد، يسألونه الدعاء والبركة، نشأ في مرسية، اخذ العلم عن شيوخها في القراءة وعلوم القرآن، انتقل الى غرناطة، يعيش من قوت يده.[٤]

(١) لسان الدين ابن الخطيب: المصدر نفسه، ٣/ ١٧٤.
(٢) لسان الدين ابن الخطيب: المصدر نفسه، ٣/ ١٧٤.
(٣) تاريخ قضاة الاندلس، ص١٢٤.
(٤) لسان الدين ابن الخطيب: الاحاطة، ٣/ ١٧٥.

كان ابن حسون مشهور بالكرامات، ومن كراماته ان السلطان في أحد الايام اخرج المسجونين في السجن كرامة له،[٥] كان يعد من الزهاد المعروفين في الاندلس وفاته كانت في غرناطة سنة ٧٠٥هـ/ ١٣٠٥م.[٦]

٤- محمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم المشهور بذي الوزارتين

هو: محمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن يحيى بن محمد بن فتوح بن ايوب بن محمد الحكيم اللخمي المشهور بذي الوزارتين، كنيته ابا عبد الله، قدم غرناطة وعاش فيها في كنف سلطانها، له رحلة الى المشرق تلقى فيها العلوم على مشايخها، كان كريماً خلوقاً مع سعة للإيثار عالي المهمة، اديب بليغ.[٧]

اخذ العلم عن والده وعن مشايخ كثر في بلاد المشرق والمغرب، منهم الشيخ موقر الدين، محمد بن احمد بن ابراهيم بن احمد الخرساني، ابو عبد الله والبسه خرقة التصوف[٨].

(٥) ابن حجر العسقلاني: احمد بن علي بن محمد (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد، دار المعارف العثمانية، ط٢، (الهند- ١٩٧٢م)، ٥/ ١٧١.
(٦) لسان الدين ابن الخطيب: الاحاطة، ٣/ ١٧٥؛ ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ٥/ ١٧١.
(٧) لسان الدين ابن الخطيب: الاحاطة، ٢/ ٣١٠؛ ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ٥/ ٢٤٣؛ المقري: نفح الطيب، ٥/ ٥٠٧.
(٨) لسان الدين ابن الخطيب: الاحاطة، ٢/ ٣١٣.

وفاته في غرناطة يوم عيد الفطر المبارك سنة ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م، قتل مع السلطان، فاستولت القوغاء على ما موجود في داره وانتهبوه، وطافوا بجسده بعد القتل ومثلوا به[١]، قيل طيف بجثته، فضاع ولم يقبر، وجرت فيه شناعة كبيرة.[٢]

٥- محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي، الغرناطي الاندلسي

هو: محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي السلماني اللوشي، الغرناطي الاندلسي، لسان الدين ابن الخطيب،[٣] وقد ذكر ترجمة لنفسه، انه قرطبي الاصل، كنيته ابو عبد الله ولقبه من الالقاب المشرقية، لسان الدين، وان بيته كان يعرف ببني وزير، ثم بعدها عرف ببني الخطيب.[٤]

تلقى علومه على يد مشايخ زمانه، في القرآن وعلومه وعلم القراءات واللغة العربية، والادب والطب والمنطق والحساب مع ولع بالشعر فاكسبه ذلك شهرة وكثر شيوخ، فقد نبغ في الشعر وترسل ففاق اقرانه واتصل بأمراء غرناطة، وعمل كاتباً في ديوانهم ثم وزيراً ولأكثر من سلطان من سلاطينهم.[٥]

حدث له عدة محن مع سلاطين غرناطة فيشفع له سلطان المغرب وفي أحدها عاد الى غرناطة، ولكن هذه المرة إثر الاقتصار ((على الكفاية راضيا بغير النبيه من اللبس هاجراً للزخرف صاعدا للحق في اسواق الباطل وعمر حينئذ زاوية ومدرسة))[٦]، أكثر الاعداء فيه القول ونسبوه الى: ((الزندقة والانحلال من ربقة الاسلام... والقول بالحلول والاتحاد والانخراط في سلك اهل الالحاد، وسلوك مذهب الفلاسفة في الاعتقاد)).[٧]

لا يخفى لم يذكر لسان الدين ابن الخطيب كمتصوف، لكن اعماله وبنائه زاوية ومدرسة تدلل على اتجاهه الصوفي، وما وسمه به اعدائه وقولهم بقوله بالحلول والاتحاد وهذا مذهب محي الدين ابن العربي وقوله وهذه كلها صفات المتصوفة بعد محي الدين ابن عربي.

وقد كانت وفاته في مدينة فاس مقتولاً سنة (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، على إثر فتوى اصدرها بعض الفقهاء، قيل ان بعض ((الاوغاد)) دخلوا عليه وخنقوه، ثم دفن بمقبرة فاس.[٨]

٦- القاضي محمد بن عبد الله.

(١) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ٥/ ٢٤٤.
(٢) المقري: نفح الطيب، ٥/ ٥٠٧.
(٣) ابن حجر العسقلاني: انباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: حسن حبشي، لجنة احياء التراث الاسلامي (مصر-١٩٦٩م)، ١/ ٩١.
(٤) لسان الدين ابن الخطيب: الاحاطة، ٤/ ٣٧٤.
(٥) حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ٥/ ٢١٣-٢١٤.
(٦) حجر العسقلاني: المصدر نفسه، ٥/ ٢١٥
(٧) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٨/ ٤٢٤.
(٨) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ٥/ ٢١٣-٢١٦؛ المقري: نفح الطيب، ٥/ ٩ وما بعدها؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ٨/ ٤٢٤؛ الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، الاعلام، دار العلم للملايين ط٥، (د.م، ٢٠٠٢م)، ٦/ ٢٣٦.

هو: القاضي محمد بن عبد الله وقيل (عبيد الله) بن محمد بن يوسف بن يحيى بن عبيد الله بن منظور، كنيته ابو بكر، من اعلام القضاة، الشيخ الفقيه، أصله من اشبيلية، كان رجلاً له خلق وتواضع وبرّ كثير، لسانه سريع الثناء مع حنكة، تولى القضاء في جهات متعددة من بلاد الاندلس، وفي مدينة مالقة[١] موطنه، وقد كان كثير العبرّة والخشية وحسن الاعتقاد، مع كثرة الايثار والصدقة.[٢]

اخذ العلم عن شيوخ كثيرين، كان منهم الشيخ الصوفي محمد بن احمد الافشري الفاسي، ولبس عنه الخرقة وكذلك الخطيب الزاهد ابي عبد الله السلّال وقد كتب له بالإجازة واخرين غيرهم،[٣] وكانت له تأليف سمع بعضها النباهي وهي تواليف حسنة الاغراض[٤] منها السحب وقيل السجم الواكفة والظلال الوارفة في الرد على ما تضمنه المضنون به على غير اهله من اعتقاد الفلاسفة وكتاب نفحات النسوك.[٥]

توفى ببلدة مالقة، وقبره بها، كانت وفاته بالطاعون شهيداً وذلك في منتصف شهر صفر سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م، وبقي اعقابه في خطة القضاء على طريقته المثلى[٦].

٧- محمد بن علي بن عبد الله اللخمي.

هو: محمد بن علي بن عبد الله اللخمي كنيته ابا عبدالله، ويعرف بالشقوري نسبة الى مدينة شقورة،[٧] وقد كان طبيب دار الامارة، وقد كان رجل خير وامانه وحسن المشاركة، يحب الصالحين واهل التقوى، حريص على التعلق بجناب الله، وقد كلّف بصحبة الصالحين، وخاض في السلوك، واخذ يروض نفسه للمجاهدة حتى ظهرت عليه تلك الآثار، وقد كان متكلم في طريقة الصوفية، عديم النظر في الفضل وكرم النفس، اخذ العلم عن خلق كثيرين منهم الحكيم الوزير خالد بن خالد من شيوخ غرناطة، والحكيم الفاضل ابي زكريا هذيل ولازمة وانتفع به، وسلك بالشيوخ الصوفي ابي مهذب عيسى الزيات واخيه الصالح ابي جعفر الزيات، والتزم طريقهم في التصوف، فظهرت عليه بركتهم، وله مؤلفات عدة،

(١) مالقة: مدينة اندلسية تقع على شاطئ البحر، محاطة بسور من الصخر، البحر قبلها، وهي حسنة عامرة آهلة كثيرة الديار، يحيط بها من جميع الجهات اشجار التين المنسوب اليها، وهو من أحسن التين واطيبه، ماء اهلها من الابار. ينظر: الحميري: الروض المعطار، ص٥١٧.

(٢) لسان الدين ابن الخطيب: الاحاطة، ٢/ ١٠١-١٠٢؛ لسان الدين ابن الخطيب: الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق: احسان عباس (د.م-١٩٦٣م)، ص١١٩؛ النباهي: تاريخ قضاة الاندلس، ص١٥٤.

(٣) لسان الدين ابن الخطيب: الاحاطة، ٢/ ١٠٢.

(٤) لسان الدين ابن الخطيب: الكتيبة الكامنة، ص١٢٠.

(٥) لسان الدين ابن الخطيب: الاحاطة، النباهي: تاريخ قضاة الاندلس، ص١٥٤.

(٦) لسان الدين ابن الخطيب: الكتيبة الكامنة، ص١٩٩. هامش رقم (١)؛ النباهي: تاريخ قضاة الاندلس، ص١٥٥.

(٧) شقورة: مدينة اندلسية من اعمال جيان. ينظر: الحميري: الروض المعطار، ص٣٤٩.

لم تذكر سنة وفاته، لكن ولادته كانت سنة ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م.[١]

٨- محمد بن محمد البكري.

هو: محمد بن محمد البكري من أهالي غرناطة، كنيته ابو عبد الله، ويعرف بابن الحاج، كان شيخاً صالحاً بعيد عن المصانعة، في الظاهر والباطن، وغليظاً على اهل الدنيا، لا يبالي الا في الله، يلبس خرقة الصوفية، ويسعى في قضاء حوائج الناس ناصحاً لهم مشاركاً في اعمالهم، قدوته في التصوف ابا العباس بن مكنون الرجل الصلح الكبير، وقد خدمه ابن الحاج، وسلك به مسلك التصوف، وكان وقد لبس المسوح والاسمال، وله حظ من المعرفة، يتكلم للناس.[٢]

كانت وفاته في مدينة المرية، محل سكناه سنة ٧١٥هـ/ ١٣١٥م.[٣]

٩- محمد بن يحيى بن ابراهيم النفزي

هو: محمد بن يحيى بن ابراهيم بن احمد بن مالك بن ابراهيم بن يحيى بن عباد النفزي، كنيته ابا عمرو ويعرف بابن عباد، الحاج الصوفي، نشأ في بيت شرف وله رحلة الى المشرق لقى فيها العلماء، والصوفية، وحضر المجالس عند مشيخة التصوف، ثم رجع الى الاندلس، فتصوف وجال في النواحي، وطرح السموت وترك ما بيده من ملاذ الدنيا والقى التصنع وله كلام على طريقة الحكماء والصوفية.[٤]

كان ابن عباد صوفيا مثاله، صوفي صافي المصافي،[٥] ويأتي بعبارات غريبة، واثارة هائلة من غير تمكن علم، ولاوثاقة إدراك، وكان كثير الطواف في البلاد، يزور الربط وله صبر على المرابطة والمجاهدة طوعاً وضرورة.[٦]

كانت وفاته بمدينة فاس، وقبره بها مشهور ومزيته معروفة شرقاً وغرباً، وقد كان يعد من الاولياء في التصوف.[٧]

١٠- محمد بن يوسف بن خلصون

هو: محمد بن يوسف بن خلصون، كنيته ابو القاسم، ومن سكنة مالقة وغرناطة، كان عالماً جليلاً ومن اعلام الحكمة له تبحر في الالهيات والعلوم العقلية، ويعد من ائمة التصوف من اهل المقامات والاحوال، قائماً على القرآن، فقيهاً اصولياً، جميل العشرة عظيم التخلق، كان يكثر الدؤوب على النظر والخلوة، تمالاً عليه ناس فخرج من مدينته الى مدينة

(١) لسان الدين ابن الخطيب: الاحاطة، ٣/ ١٣٦-١٣٧؛ ابن خلدون: التاريخ، ٧/ ٥٨٣.

(٢) لسان الدين ابن الخطيب: الاحاطة، ٣/ ١٧٥-١٧٦.

(٣) لسان الدين ابن الخطيب: الاحاطة، ٣/ ١٧٦؛ المقري: نفح الطيب، ٤/ ٣٢٦.

(٤) لسان الدين ابن الخطيب: الاحاطة، ٣/ ١٩٠.

(٥) لسان الدين ابن الخطيب: الكتيبة الكامنة، ص٤٠.

(٦) لسان الدين ابن الخطيب: الاحاطة، ٣/ ١٩٠؛ ابن قنفذ: احمد ابي العباس الخطيب القسنطيني (ت٨١٠هـ/ ١٤٠٨م)، انس الفقير وعز الحقير، اعتناء ونشر وتصحيح: محمد الفاسي وادولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، (الرباط-د.ت)، ص٧٩.

(٧) لسان الدين ابن الخطيب: الكتيبة الكامنة، ص٤٠ هامش٢؛ المقري: نفح الطيب، ٥/ ٣٤٣-٣٤٥.

مالقة وبقي فيها الى حين وفاته، وذات مرة سؤول عن صناعته فقال التصوف، وله مؤلفات تنطق علماً وحكمة مثل وصل السلوك الى ملك الملوك.[١]

١١- عبد الله بن عبد البر بن سليمان الرعيني

هو: عبد الله بن عبد البر بن سليمان بن محمد بن محمد بن أشعث الرعيني، كنيته ابو محمد، ويعرف بابن ابي المجد، كان من الصالحين، متسع الذراع للوارد مع كثرة اشار وصلاح، له حظ في طلب العلوم في الفقه والقراءات والفرائض، يخوض في طريقة الصوفية، له رحلة في طلب العلم، رحل الى المشرق سنة ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م، واخذ العلوم عن الخطيب الصوفي المحقق ابي الحسن فضل بن محمد بن فضيلة المعافري، واجازه طائفة من مشايخ المشرق.[٢]

كان ابن ابي المجد يجمع الفقراء ويحضر طائفتهم، وتظهر عليه حال لا يتمالك معها نفسه، وهذه الحال ربما يستوحش منها من لا يعرفه، وفاته كانت في ليلة النصف من شهر شعبان سنة ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م.[٣]

١٢- عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن سلمون الكناني

هو: عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن سلمون الكناني، ابو محمد الغرناطي، المشهور بابن سلمون، معروف بالنزاهة له علم باللغة العربية والفقه والقراءات، يقضي للناس حاجاتهم ويسرع الى المشاركة في قضاءها، اخذ علومه عن مشايخ الاندلس والمغرب واهل المشرق، حصل على اجازة نحو مائتين من المشايخ كانت منهم الشيخة سارة بنت احمد بن عثمان بن الصلاح الحلبية، وقد البسته خرقة التصوف، وفاته كانت في سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م.[٤]

١٣- عتيق بن معاذ بن عتيق اللخمي

هو: عتيق بن معاذ بن عتيق بن معاذ بن سعيد بن مقدم بن سعيد بن يوسف بن مقدم اللخمي، كنيته ابو بكر، من اهل غرناطة، الشيخ الصوفي، كان فذاً في الخصوصية والتخلي وايثار العزلة، له عناية بمطالعة اقوال الصوفية، فأثر طريقهم وعول عليها، اخذ العلم عن مشايخ كثيرين منهم الولي الصالح ابي عبد الله الفنجالي ولي الله، والاستاذ الصالح الصوفي ابي محمد بن سلمون، ناله اذى من القضاة ببلدة، أنكروا عليه ما امتاز به من مثلى طريقته، فسجن وقد جاوز السبعين من عمره.[٥]

١٤- علي بن عبد الله النميري

هو: علي بن عبد الله النميري، كنيته ابو الحسن، من أصل تشتر من اعمال وادي آش وهي معروفة ببلاد الاندلس، عرف بـ عروس الفقراء وامراء المتجردين، وبركة بلاد الاندلس، لبس الخرقة، وهو معروف ببلدته تشتر، وكان من اهل العلم عارفا بالقرآن الكريم قائماً عليه مجوداً لآية اخذ العلم عن

(١) لسان الدين ابن الخطيب: الاحاطة، ٣/ ١٩٤.
(٢) لسان الدين ابن الخطيب: الاحاطة، ٣/ ٣٤٩-٣٥٠.
(٣) لسان الدين ابن الخطيب: الاحاطة، ٣/ ٣٥١.
(٤) لسان الدين ابن الخطيب: الاحاطة، ٣/ ٣٠٧.
(٥) لسان الدين ابن الخطيب: الاحاطة، ٤/ ١٦٦-١٦٧.

جل مشايخ المغرب والمشرق، عرف بالإمام الصوفي المتجرد، جال البلاد والآفاق، لقي مشايخ التصوف وسكن الربط وأثر حياة التجرد والعبادة.[١]

كان صوفياً صالحاً عابداً مع معرفة بالحكمة ومعرفة بطرق الصالحين الصوفية،[٢] وله مصنفات عديدة منها: ديوان التشتري،[٣] الرسالة العلمية[٤]، الرسالة القدسية في توحيد العامة والخاصة،[٥] وسباق المرتاح ومقاليد الوجودية في اسرار الصوفية وهو اهمها في طريق التصوف[٦] توفي في مدينة دمباط[٧] يوم الثلاثاء ١٧ صفر سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م.[٨]

١٥- علي بن محمد بن سليمان بن علي بن سليمان ابن حسن الانصاري

هو: علي بن محمد بن سليمان بن علي بن سليمان ابن حسن الانصاري، كنيته ابو الحسن، ويعرف بابن الجياب، من اهل غرناطة، كان بليغٍ ذو تفنن ومجاهدة وحسن عبادة بطريقة الانقباض والنزاهة ويغلب التقشف مع محبة لأهل الخير والصلاح، شيخ طلبه العلم في الاندلس لعلوم كثيرة، شيوخه كثيرين منهم الشيخ الخطيب الفقيه الصالح الصوفي المحقق صاحب الكرامات والمقامات شيخ زمانه ابو الحسن فضل بن محمد بن محمد بن علي ابن فضيلة المعافري وغيره الكثير من علماء المشرق والمغرب.[٩]

١٦- فضل بن محمد بن علي بن فضيلة المعافري

هو: فضل بن محمد بن علي بن فضيلة المعافري، كنيته ابا الحسن الولي الصالح الصوفي، ولياً زاهداً على سنن الفضلاء واخلاق الاولياء، مع غزارة علم وحسن عمل، مشهور بالكرامة واجابة الدعوة، صوفي محقق انتهت اليه رئاسة التصوف في عهده، طلب العلم على يد مشايخ عصره وهم كثر، كانت وفاته في الثامن عشر من شهر محرم سنة ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م ودفن بمقبرة ربض البيازين من ارباض غرناطة مع قومة صلحاء شرق الاندلس.[١٠]

وبكلمة اخيرة وجدنا في هذه المدة الزمنية العديد من رجالات التصوف ومن اصحاب الكرامات،

(١) لسان الدين ابن الخطيب: الاحاطة، ٤/ ١٧٢؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ٧/ ٥٧٤.

(٢) الغبريني: احمد بن احمد بن عبد الله بن محمد (ت٧١٤هـ/ ١٣١٤م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: عادل نويهض، دار الافاق الجديد، ط٢، (بيروت-١٩٧٩م)، ص٢٣٩.

(٣) اسماعيل البغدادي: اسماعيل بن محمد بن مير الباباني (ت١٣٩٩هـ/ ١٩٢٠م)، ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، تصحيح: محمد شرف الدين، دار احياء التراث، (بيروت-د ت)، ٣/ ٥٦٦.

(٤) اسماعيل البغدادي: ايضاح المكنون، ٣/ ٥٦٦.

(٥) اسماعيل البغدادي: ايضاح المكنون، ٣/ ٥٦٧.

(٦) اسماعيل البغدادي: ايضاح المكنون، ٤/ ٩٩و ٤/ ٥٣٥.

(٧) اسماعيل البغدادي: ايضاح المكنون، ٤/ ٩٩و ٤/ ٥٣٥.

(٨) دمباط: مدينة ببلاد مصر تقع على ساحر البحر قريبة من تنيس. الحميري: الروض المعطار، ص٢٥٧.

(٩) الغبريني: عنوان الدراية، ص٢٣٩-٢٤٢؛ لسان الدين ابن الخطيب: الاحاطة، ٤/ ١٧٢؛ اسماعيل البغدادي: ايضاح المكنون، ٣/ ٥١٠.

(١٠) لسان الدين ابن الخطيب: الاحاطة، ٤/ ٩٩-١٠٢؛ المقري: نفح الطيب، ٥/ ٤٣٤.

لكنهم لم يرتقوا الى ما ارتقى اليه اسلافهم في العهدين المرابطي والموحدي من رجال ملؤا الدنيا اتباع ومريدين وكانت لهم مذاهب ومدارس في التصوف مثل ابن العربي محي الدين وابن سبعين ورائدهم ابن العريف.

وكان سمت المتصوفة في بلاد الاندلس الزهد واظهار كل ما هو ضد الترف واللهو وربما ذلك يعود الى الظروف التي يعيشها المجتمع الاندلسي في هذه المدة، وارتباطات الصوفية في هذا الوقت كانت ارتباطات مع الفلسفة المبينة على الاسس الدينية غير الخارجة عن الشرع القويم، وان شابها في احيان بعض الانحرافات، والتي لا يمكن عدها مخرجة عن الدين، فلا يتعارض الزهد والتصوف وان عارضتهما الفلسفة.

فالأوضاع السياسية في هذه المدة التي عاشتها بلاد الاندلس اثرت في جميع نواحي الحياة، ومنها التصوف والذي استمر وازدادت اعداد المتصوفة ولمعت بعض الاسماء وفي مناطق مختلفة ولكنهم كما ذكرنا لم يكونوا على شهرة كبيرة من التصوف، بل كانوا ورعين وزهاد ولهم طموح في الاجتهاد، ونشر العلوم ونشر التصوف، مع الالتزام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد اوذي بعضهم في السجون او تعرضوا الى محن ادت الى انهاء حياتهم.

الخاتمة

بعد العرض الذي قدمناه لموضوع اعلام من رجال التصوف الاندلسي في دولة غرناطة حتى سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م تكشف لنا بعض من حقائق البحث ولعل أبرزها: -

١- ان التصوف الاسلامي اساسه الزهد والتشوق النفسي للاتصال بالله سبحانه وتعالى، فالصوفية اناس زاهدون بالدنيا طامعين بما عند الله سبحانه وتعالى، اتبعوا طريق التأمل فتعلقت ارواحهم بحب الوصول الى ما عند الله.

٢- تدرج التصوف بأفكاره في بلاد الاندلس من زهد وانقطاع الى ظهور افكار ومذهب تمازجت معه افكار الفلاسفة، ورائده الاول كان محمد ابن مسرة، الذي سرعان ما ظهر له اتباع بأزمان اخرى كعصر المرابطين والموحدين، مما يدلل على النهوض السريع بالفكر الصوفي ومخالطته لأفكار المتكلمين والفلاسفة.

٣- ضعف الدولة الاسلامية في الاندلس كان أحد اسباب انتشار التصوف، ففي زمن دولة غرناطة، نجد انتشار اوسع للصوفية، لكن شهرتهم لم تكن كشهرة المتصوفة في العصرين المرابطي والموحدي مثل شهرة ابن العريف ومحي الدين ابن العربي وابن سبعين[1].

٤- من خلال تتبع تراجم رجال التصوف في دولة غرناطة، نجد اعداد أكثر، وقلما نجد عالماً من علماء تلك المدة غير متخلق بأخلاق الصوفية او يؤمن

(١) لسان الدين ابن الخطيب: الاحاطة، ٤/ ٢١٥-٢١٦.

بأفكارهم، لكن التصوف اخذ منحى اخر يدعوا فيه المشايخ من الصوفية الى الجهاد ومقارعة الاعداء، والايمان بالعمل الجهادي.

٥- نجد في هذه المدة نماء لحركة التأليف في الجوانب والافكار الصوفية، وهذا يدلل على بروز التصوف كفكر له انصاره وله مؤلفاته وقد ذكرنا بعض المؤلفات لبعض رجال التصوف الذين ذكرناهم.

وبهذه الحقائق نكون قد اتممنا ما بدأناه من دراسة حركة التصوف وترجمة رجالاتها في دولة غرناطة حتى سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٤٧م.

المصادر والمراجع

~~أولا: المصادر~~

- الاحمد نكري: عبد النبي بن عبد الرسول (ت ق ١٢هـ/ ١٧م).

١- دستور العلماء، تعريب: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، (بيروت-٢٠٠٠م)

- الازهري: محمد بن احمد الهروي (ت٣٧٠هـ/ ٩٨١م).

٢- تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض، دار احياء التراث العربي (بيروت-٢٠٠١م).

- اسماعيل البغدادي: اسماعيل بن محمد بن مير الباباني (ت١٣٩٩هـ/ ١٩٢٠م).

٣- ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، تصحيح: محمد شرف الدين، دار احياء التراث، (بيروت-د ت)

- ابن الابار: محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي البلنسي (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م).

٤- التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام هراس، دار الفكر (لبنان-١٩٩٥م).

٥- الحلة السراء، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، ط٢، (القاهرة-١٩٨٥م).

- البادسي: عبد الحق بن اسماعيل.

٦- لمقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق: سعيد اعراب، المطبعة الملكية، ط٢، (الرباط-١٩٩٣م)،

- ابن بشكوال: خلف بن عبد الملك (ت٥٧٨هـ/ ١١٨٣م).

٧- الصلة في تاريخ ائمة الاندلس، نشر وتصحيح: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط٢، (د.م-١٩٥٥).

- التهانوي: محمد بن علي بن محمد بمنحامد (ت ب عد١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م).

٨- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان (بيروت-١٩٩٦م).

- ابن الجزري: محمد بن محمد بن يوسف (ت٧٣٣هـ/ ١٤٢٩م).

٩- غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية (د.م-١٩٣٢م).

- الجوهري: اسماعيل بن حماد الفارابي (ت٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م).

١٠- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق:

احمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، ط٤، (بيروت-١٩٨٧م).

- ابن حجر العسقلاني: احمد بن علي بن محمد (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م).

١١- انباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: حسن حبشي، لجنة احياء التراث الاسلامي (مصر-١٩٦٩م).

١٢- الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد، دار المعارف العثمانية، ط٢، (الهند-١٩٧٢م).

- الحميري: محمد بن فتوح عبد الله (ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م).

١٣- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس، الدار المصرية للتأليف (القاهرة-١٩٦٦م).

- الحميري: محمد بن عبد المنعم (ت٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م).

١٤- الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: احسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط٢، (بيروت-١٩٨٠م).

- ابن خاقان: الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان القيسي (٥٢٩هـ/ ١١٣٥م).

١٥- مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح اهل الاندلس، تحقيق: محمد علي شوابكة، دار عمار ومؤسسة الرسالة (د.م-١٩٨٣م).

- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م).

١٦- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصر من ذوي الشأن الاكبر، تحقيق: خليل شحاذة، دار الفكر، ط٢، (بيروت-١٩٨٨م).

- ابن خلكان: احمد بن محمد بن ابراهيم الاربلي (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م).

١٧- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار صادر (بيروت-١٩٧١م).

- ابن دحيه الكلبي: عمر بن حسن الاندلسي (ت٦٣٣هـ/ ١٢٣٦م).

١٨- المطرب في اشعار اهل المغرب، تحقيق: ابراهيم الابياري وآخرون، دار العلم (بيروت-١٩٥٥م).

- الذهبي: محمد بن احمد بن عثمان (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م).

١٩- تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي (د.م-٢٠٠٣م).

٢٠- سير اعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، ط٣، (د.م-١٩٨٥م).

- ابن ابي زرع.

٢١- الانيس المطرب بروض القرطاس في ذكر ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، مطبعة صور (فاس-١٩٧٢م).

- ابن سعيد المغربي: علي بن موسى بن سعيد (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م).

٢٢- المغرب في حلى المعرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، ط٣، (القاهرة-١٩٧٥م).

- السيوطي: عبد الرحمن بن ابي بكر (ت

٩١١هـ/ ١٥٠٥م).
٢٣- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: محمد ابراهيم عبادة، مكتبة الآداب (القاهرة- ٢٠٠٤م).
- الضبي: احمد بن يحيى بن احمد (ت ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م).
٢٤- غية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس، دار الكتاب العربي (القاهرة-١٩٦٧م).
- ابن العماد الحنبلي: عبد الحي (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م).
٢٥- شذرات الذهب في اخبار من ذهب، دار احياء التراث العربي (بيروت-د ت).
- الغبريني: احمد بن احمد بن عبد الله بن محمد (ت٧١٤هـ/ ١٣١٤م).
٢٦- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: عادل نويهض، دار الافاق الجديد، ط٢، (بيروت-١٩٧٩م).
- ابن الفرضي: عبد الله بن محمد بن يوسف الازدي (ت٤٠٣هـ/ ١٠١٢م).
٢٧- تاريخ علماء الاندلس، نشر وتصحيح: السيد عزت العطار، مكتبة الخانجي، ط٣، (القاهرة- ١٩٨٨م).
- ابن قنفذ: احمد ابي العباس الخطيب القنسطيني (ت ٨١٠هـ/ ١٤٨م).
٢٨- انس الفقير وعز الحقير، اعتناء ونشر وتحقيق: محمد الفاسي وادوله فور، المركز الجامعي للبحث العلمي (الرباط-٩ت).
- لسان الدين ابن الخطيب: محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني (ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)
٢٩- الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق: احسان عباس (د.م-١٩٦٣م)
٣٠- الاحاطة في اخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، (بيروت-٢٠٠٣م).
- مجهول: من علماء (ق ١٠هـ/ السادس عشر الميلادي)
٣١- تاريخ الاندلس، تحقيق: عبد القادر يوبابة، دار الكتب العلمية، (بيروت-٢—٩م).
- المقدسي: محمد بن احمد (من علماء ق ٤هـ/ ١٠م).
٣٢- أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، مكتبة مدبولي، ط٣، (القاهرة-١٩٩١م).
- المقري: احمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣٢م).
٣٣- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: احسان عباس، دار صادر (بيروت-١٩٩٧م).
- النباهي: علي بن عبد الله بن محمد (ت نحو ٧٩٢هـ/ بعد ١٣٩٠م).
٣٤- تاريخ قضاة الاندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، تحقيق: لجنة احياء التراث العربي، دار الافاق الجديدة، ط٥، (بيروت- ١٩٨٣م).

- ياقوت الحموي: ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م).
٣٥- معجم البلدان دار صادر، ط٢، (بيروت-١٩٩٥م).

ثانيا: المراجع والبحوث:

- أعرب: سعيد.
٣٦- مع القاضي ابي بكر بن العربي، دار الغرب الاسلامي، (بيروت-١٩٨٧م).
- آنا ماري شيمل.
٣٧- الابعاد الصوفية في الاسلام وتاريخ التصوف، ترجمة: محمد اسماعيل السيد ورضا حامد قطب، منشورات الجمل (المانيا-بغداد-٢٠٠م).
٣٨- رمزية الحروف في المصادر الاسلامية، www.pdffactory.com ص٢.
- بالنثيا: انخل جنثالث.
٣٩- تاريخ الفكر العربي، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة-د ت).
- البشري: سعد عبد الله صالح.
٤٠- الحياة العلمية في عصر الخلافة في الاندلس ٣١٦-٤٢٢هـ/ ٩٢٨-١٠٣٠م، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ام القرى، كلية الشريعة للدراسات الاسلامية، مكة المكرمة-١٩٨٢م).
- جرين: نايل.
٤١- الصوفية نشأتها وتاريخها، ترجمة: صفية مختار، نشر مؤسسة هنداوي، (د.م-٢٠١٧م).
- الجهني: مانع بن حماد.
٤٢- الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة، دار الندوة، ط٥، (الرياض-٢٠٠٣م).
- دويدار: حسين يوسف.
٤٣- المجتمع الاندلسي في العصر الاموي (١٣٨-٤٢٢هـ/ ٧٥٥-١٠٣٠م)، مطبعة الحسين الاسلامية (مصر-١٩٩٤م).
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد.
٤٤- الاعلام، دار العلم للملايين، ط٥، (د.م، ٢٠٠٢م).
- السامرائي: خليل ابراهيم.
٤٥- تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، دار ابن الاثير (الموصل-١٩٨٦م).
- سيسالم: عصام سالم.
٤٦- جزر الاندلس المنسية التاريخ الاسلامي لجزر البليار (٨٩-٦٨٥هـ/ ٧٠٨-١٢٨٧م)، دار العلم للملايين (بيروت-١٩٨٤م).
- الشاذلي: عبد الله.
٤٧- الالتزام الصوفي، دار آفاق العربية (القاهرة-٢٠٠٦م).
- الطيبي: امين توفيق.
٤٨- دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والاندلس، الدار العربية للكتاب (ليبيا-تونس-١٩٨٤م).
- عداس: كلود.
٤٩- التصوف العربي وبروز ابن العربي، ترجمة: محمد لطفي اليوسفي، (بحث في كتاب الحضارة

العربية الاسلامية في الاندلس، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، بيروت-١٩٩٩م).

- العكيدي: برزان ميسر حامد احمد.

٥٠- مدينة شلب من الفتح العربي الاسلامي حتى سقوطها في ايدي البرتغاليين (٩٢-٦٤٠هـ/ ٧١١-١٢٤٢م)، (اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل-كلية التربية-٢٠٠٩م).

- القنوجي: محمد صديق خان بن حسين بن علي.

٥١- بحر العلوم، دار ابن حزم، (د.م-٢٠٠٢م).

- القاري: حسان.

٥٢- ابن برجان الاندلسي وجهوده في التفسير الصوفي وعلم الكلام (ت٥٣٦هـ/ ١١٤٢م)، بحث منشور في مجلة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، دمشق، ٢٠٠٧م، العدد الاول.